بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الاثنين 29 صفر 06 ربيع الأول 1436 هـ / 22 - 28 ديسمبر 2014 العدد: 735 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / info.bassair@gmail.com / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية

وضع اللغة العربية في الجزائر

03

بعد تداعي أسعار «البترول» العالمية

سوق النفط خارج العرض والطلب !؟

صدمة انهيار أسعار النفط على الدول المصدرة -منظمة أوبيك- ليست بالجديدة، كما أنها ليست بالمفاجئة إذا ما توخينا الحقيقة، ونظرنا إلى المعطيات الاقتصادية التي تتحكم في هذه البضاعة، وفي تسويقها، على أنها معطيات خاضعة لتقلبات السوق. وتقلبات السوق كما هو متعارف عليه لدى فقهاء الاقتصاد يحكمها العرض والطلب. لكن الصدمة الكبرى هي ألا أحد استطاع من الدول المصدرة للنفط أن يستقرئ الواقع، ويستشف المستقبل، ويحسن تدبير تقلبات السوق، بما يخدم على الأقل تكلفة الإنتاج.

07

على بصيرة

أ.د. عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

حماية الشباب من الاضطراب

توشك النعم العديدة، التي حبا الله بها بلادنا، وفي مقدمتها نعمة الشباب، توشك هذه النعم أن تتحول إلى نقم، وإلى حجة علينا، بل وإلى قنابل موقوتة، قد تنفجر ذات يوم -لا قدر الله- في وجوه الجميع.

فقد حبانا الله من النعم الظاهرة والمستترة، المادية والمعنوية، ما تنوء بتحمل تبعاته، العصبة أولو القوة،وما يجب أن يضعفنا تحت طائلة حكم الله في قوله: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ} [سورة القصص/ الآية 17].

إن من نعم الله على الجزائر، أن خصها بخصوبة جناتها، وعذوبة مائها، وطيب هوائها، وفحولة أبنائها، وعفة نسائها، مما يجعلها تباهي به أم الأرض جميعا، كما أن ثمار متيجة، وكنوز حاسي مسعود ،وما بين ذلك من نخيل باسقات، وجبال راسيات، وأنهار دافقات، ليجعل الجزائر وكأنها هي التي عناها الشاعر الاندلسي ابن خفاجة حين قال:

ما جنة الخلد إلا في دياركم
ولولا تَخيّرتُ، هذى، كنت أختار

ولعل أبرز النعم كلها، في الجزائر، هي نعمة الإنسان، وأخص النعم الإنسانية نعمة الشباب، هذه الطاقة الطافحة بالجمال، والقوة، والفتوة، التي تميز الشعب الجزائري في كل منحى من مناحي جغرافيته، وتاريخه، وفي تتبع أفئاد أصوله وشماريخه.

طالع 02

جمعية العلماء في مواجهة مخططات الاستدمار الفرنسي

21

من أسرار السياسة واللغة

18

دعوة

اجتماع المجلس الوطني في دورته العادية

يسعد رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن يدعوكم لحضور جلسات المجلس الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذي سينعقد -بحول الله- بالمركز العائلي لتعاضدية عمال البناء بزرالدة يومي: 04، 05 ربيع الأول 1436هـ، الموافق لـ 26، 27 ديسمبر 2014م، ابتداء من الساعة التاسعة والنصف(9.30) صباحا.

ملاحظة

-1 يتم استقبال المشاركين المدعوين والمدعوات من خارج العاصمة بداية من يوم الخميس 03 ربيع الأول 1436هـ الموافق لـ 25 ديسمبر 2014م، في الساعة الثالثة مساء بالتعاضدية العامة لمواد البناء، المركز العائلي لزرالدة، شارع المذابح، الشاطئ العائلي:
Mutuelle générale des Matériaux de construction, centre famillial de zeralda

-2 يكون الاستظهار إجباريا بـ:
أ- الدعوة.
ب- بطاقة التعريف الوطنية.
ج- بطاقة الانخراط 2014 (ضرورية).

المجلس الأعلى للغة العربية يكرّم الدكتور نويوات

كرم المجلس الأعلى للغة العربية، بالمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، الدكتور مختار نويوات، في ذكرى اليوم العالمي للغة العربيّة. وقال عز الدين ميهوبي في الكلمة التي ألقاها بالمناسبة: "إن الرجل يمتلك حس إنتاج "العصير" الفكري، وتركيز الرؤية في عدد قليل من الجمل، دون أن يشعرك بالملل، ثم إن الكمّ الهائل من المعلومات التي يستقيها من مصادر عديدة، ومن اجتهاد قلّ نظيره". وكشف رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، أن الدكتور نويوات "أخذ بأيدي عشرات الباحثين في شؤون الأدب واللغة والتراث.. لا ينعب وإن امتد به العمر، ولا يعتد بعلمه فدأبه التواضع، لا يسعى إلى رفعة وهو المكتنز علمًا ودراية، ولا يستجدي موقعًا لن يشكّل قيمة مضافة في مسيرته باحثا أكاديميا من طينة الكبار، يكبر في عيون طلبته وأصدقائه وكل من قاسمه لحظة فكر أو معرفة". وختم ميهوبي كلمته "هو هكذا مختار نويوات، الكبير الذي اختار الصمت، الهادئ الذي تجنّب الضجيج، الطيب الذي يختزل قيم الجزائري الأصيلة، وهي هكذا شجرة عائلة نويوات المباركة باللغة والإيمان والوطنيّة".

معبر «رفح» يفتح في يومين بعد أشهر من الغلق.!

فتحت السلطات المصرية صباح اليوم الأحد معبر رفح البري لمدة يومين، وذلك لسفر الحالات الانسانية، وقدوم العالقين من أصحاب الإقامة والمقيمين بالخارج فقط.
وغادرت 3 حافلات باتجاه الصالة المصرية من معبر رفح البري في أول أيام فتحه استثنائيا.
وكانت أعلنت الإدارة العامة للمعابر والحدود يوم السبت، عن فتح الجانب المصري لمعبر رفح ليومي الأحد والاثنين في كلا الاتجاهين.
وأوضحت أن يوم الأحد سيخصص لأصحاب التحويلات المرضية من وزارة الصحة، مرضى السرطان والكبد الوبائي والفشل الكلوي والعالقين من أصحاب الإقامات والمقيمين بالخارج فقط.
ويوم الاثنين سيخصص للطلاب المسجلة أسماؤهم لدينا من طلبة البكالوريوس ولديهم إقامات.

المصدر: فلسطين الآن

الحركة الإصلاحية المغربية 1912-1956 في ضيافة جامعة الجزائر 2

ناقش يوم السبت 13 ديسمبر 2014 الأستاذ عبد القادر قويع " المدرس بجامعة الجلفة- رسالة الدكتوراه حول الحركة الإصلاحية في المغرب الأقصى 1912-1956، أمام لجنة مناقشة مكونة من الدكاترة: عبد الرحمان أولاد سيدي الشيخ (رئيسا)، مولود عويمر (مشرفا ومقررا)، أحمد مريوش (عضوا)، بشير سعدوني (عضوا)، أبو بكر الصديق حميدي (عضوا).
وبعد المناقشة والمداولات، منحت اللجنة بالإجماع شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر للباحث قويع بتقدير مشرف جدا، فهنيئا للدكتور عبد القادر وتمنياتنا له بمزيد من النجاح والتوفيق والتألق العلمي.

تتمة من 01

حماية الشباب من الاضطراب...

توشك النعم العديدة، التي حبا الله بها بلادنا، وفي مقدمتها نعمة الشباب، توشك هذه النعم أن تتحول إلى نقم، وإلى حجة علينا، بل وإلى قنابل موقوتة، قد تنفجر ذات يوم -لا قدر الله- في وجوه الجميع.
فقد حبانا الله من النعم الظاهرة والمستترة، المادية والمعنوية، ما تنوء بتحمل تبعاته، العصبة أولو القوة،وما يجب أن يضعفنا تحت طائلة حكم الله في قوله: {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ} [سورة القصص/ الآية 17].
إن من نعم الله على الجزائر، أن خصها بخصوبة جناتها، وعذوبة مائها، وطيب هوائها، وفحولة أبنائها، وعفة نسائها، مما يجعلها تباهي به أم الأرض جميعا، كما أن ثمار متيجة، وكنوز حاسي مسعود ،وما بين ذلك من نخيل باسقات، وجبال راسيات، وأنهار دافقات، ليجعل الجزائر وكأنها هي التي عناها الشاعر الاندلسي ابن خفاجة حين قال:

ما جنة الخلد إلا في دياركم
ولولا تَخيَّرتُ، هذي، كنت أختار

ولعل أبرز النعم كلها، في الجزائر، هي نعمة الإنسان، وأخص النعم الإنسانية نعمة الشباب، هذه الطاقة الطافحة بالجمال، والقوة، والفتوة، التي تميز الشعب الجزائري في كل منحى من مناحي جغرافيته، وتاريخه، وفي تتبع أفذاذ أصوله وشماريخه.
غير أن قوة الشباب، الدافقة هذه، عمها الإهمال، وغشيها الضلال، فهي تعاني الويلات، والوبال، والنكال، فجنة الجزائر اليوم تكمن في شبابها، الذي غصت به الشوارع والطرقات، وضاقت به أمواج البحار، وموانيء المطارات، وتكدست به زنازين السجون وقاعات المعتقلات والمحتشدات.
فما تنشره أعمدة الصحف كل يوم، وما تبثه القنوات من عدوانية على الذات، وسطو على المنازل والمحلات، وإقدام على الانتحار وشتى المغامرات، ليجعل كل جزائري شريف وعفيف يخجل من نفسه، ومن ضميره، كما يهز وعيه سؤال عسير وخطير، هو الذي ظللنا نسمعه ويصم أذاننا بصوت المغنية الجزائرية المغفور لها إن شاء الله، «نورة» وهي تناجي ربها على لسان الجزائر:

يا ربي سيدي واش عملت أنا باوليدي
ربيته بيدي وادائو بنت الرومية

إن الفاحص المدقق، والمتأمل المعمق لواقع شبابنا الجزائري، ليدرك هو فاجعة منظومتنا التربوية، وأبعاد مأساة تنظيماتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في مجال الشباب.
فلن يستقر لنا بال، ولن يهدأ لنا ضمير، طالما ظل سرب من الشباب يتسكع في المقاهي، والملاهي، وأمام العمارات والمحطات، يتصيد العاجزين للسطو عليهم، والمغفلين للايقاع بهم، والمارة من الفتيان والفتيات، لمعاكستهم والتنغيص عليهم.
إنها "حقا- الظاهرة الخطيرة والشاذة التي تنفجر في وجوه الجزائريين كل من موقع مسؤوليته، لتسائله: ماذا فعلت، وكان بإمكانك أن تفعل للمساهمة في حل أزمة الشباب؟ لماذا أحجمت وبيدك مفاتيح الأموال والأعمال، فبذرت المال، وأفسدت الأعمال، وألقيت بالشباب إلى هذا الدرك الأسفل من الوبال؟
أبعد كل هذا يمكن أن نتساءل في غباء، لماذا يقدم شبابنا على اللصوصية، والانتحار وركوب أهوال البحار؟ ولماذا تظلم الدنيا في أعين أبنائنا فيقبلون على كل أنواع الاضطراب، وكل ألوان العنف والإرهاب؟
ألم يكن بالإمكان التكفل بقضاياهم في مهدها، ببناء مدارس التكوين لتوجيههم، ومصانع التمهين لتشغيلهم، ومعاهد التعليم لإصلاحهم وتقويمهم؟
إن المسجد، والمعهد، والمنظمات والجامعات، والأسر والمؤسسات، كلها مسؤولة بانعزالها وانشغالها عما آل إليه أمر الشباب من قنوط وإحباط، وما يعانيه من عنف وإجرام، و«تخلاط».
فبداية زوال النعم عنا، بدء بزوال نعمة البترول، وغلاء المال الثابت والمنقول، لهو درس النقمة التي يجب أن توقظنا من حلمنا الطويل، وتخرجنا من وهمنا الثقيل، وتفتح أعيننا على واقع الشباب كرمز، لما تعانيه الأمة من أزمات الفساد، والظلم، والتقتيل.
أن الأوان، إذن، أن نعود إلى الذات، بعد أن لبثنا عقودا طويلة من الزمن تعيش الانسلاب، والاغتراب، بدء بالاضطراب إلى أنواع الإرهاب، الذي أدى إليه الغلو، والتطرف، وزيف الانتماء والانسلاب.
إننا مسؤولون جميعا، عن كل طفل يقتل زميله، ولو في ساحات اللعب المدرسي، ومحاسبون عن وجود أي شباب في الشارع دون تعلم، وعمل، فهو مشروع مؤجل التنفيذ لداعش أو غيرها، من منظمات الحرام والفواحش.
فإذا أردتم "حقا- حماية الشباب من الاضطراب، فأعيدوا النظر في منظومتكم، وسياسة حكومتكم، وأفاق هيكلتكم ودستوركم، إن التاريخ صحائف، فسجلوا فيه جميل ذكركم، وأفضل ما فيكم وفي عصارة فكركم وعلمكم.

أ.د. عبد الرزاق قسوم
رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
المدير مسؤول النشر: أ. د. عبد الرزاق قسوم، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
رئيس التحرير: أ. د مولود عويمر
نائب رئيس التحرير: أ. كمال أبو سنة
سكرتير التحرير: أ. عبد القادر قلاتي
المدير التقني: أ. مصطفى كروش
التحرير: الهاتف والفاكس: 021.49.51.19
الإدارة: الهاتف والفاكس: 021.49.52.67 / 021.23.33.73
الإشهار: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار / 01 شارع باستور - الجزائر.
الطباعة: مطبعة الوسط الجزائر.
رقم الحساب الجاري: 64-2985920
سعر العدد: 20.00دج
الاشتراك النصف السنوي: 500.00دج / الاشتراك السنوي: 1000.00دج
17، شارع محمد مريوش - حسين داي - الجزائر.
التوزيع: الوسط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0550.60.00.38 ★★★ الشرق: KDP 031.92.49.48 ★★★ الغرب: S.D.P.O، 0550.57.54.55

هيئة التحرير غير ملزمة بتبرير عدم نشر المقالات المرسلة إليها.

ماذا وراء تطاول نور الدين بوكروح على الإسلام؟!(1)

أ. عبد الحميد عبدوس

نشر الكاتب نور الدين بوكروح رئيس حزب التجديد الجزائري سابقا، والوزير السابق في عدة حكومات جزائرية، سلسلة مقالات في جريدة «لوسوار دالجيري» (مساء الجزائر) الصادرة باللغة الفرنسية، ظهرت الحلقة الأولى يوم 24نوفمبر2014 تحت عنوان (مرافعة من اجل إصلاح الإسلام) والحلقة الثانية نشرت يوم 1ديسمبر2014 تحت عنوان (هل نستطيع إصلاح الإسلام؟) ثم نشرت الحلقة الثالثة يوم 8ديسمبر2014 تحت عنوان (إعادة القرآن إلى موضعه).

افتتح الكاتب أولى حلقات مقالاته بالحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر» (البخاري) غير أن بوكروح سرعان ما انتقل من مجال الاجتهاد في الإسلام - وهو أمر مشروع ومطلوب- إلى الطعن في الإسلام وتحقير المسلمين! إذ يرى في مقاله .أن جهود المصلحين من شيخ الإسلام عبد الحليم ابن تيمية إلى إمام النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس- عليهما رحمة الله- كانت خاطئة وغير مجدية لأنها توجهت إلى إصلاح المجتمعات الإسلامية بدل إصلاح الإسلام. ولذلك ازدادت أوضاع المسلمين سواء بعد هذه الاجتهادات!

أما الهدف من اجتهاد الكاتب نور الدين بوكروح -كما يسجل ذلك في مقالاته- فهو الوصول إلى «تغيير نظرتنا إلى الله. وإلى العالم. ومغزى وجودنا على الأرض. ونظرتنا إلى الآخرين من غير المسلمين» و يلتقي بوكروح في آرائه عن الإسلام المطروحة في مقالاته المشار إليها آنفا. مع طرح الكاتب الصهيوني الأمريكي دانيال بايبس. مدير معهد منتدى الشرق الأوسط. ومؤسس معهد مكافحة الإسلام في أمريكا وأحد أقطاب جماعة المحافظين الجدد الذين زينوا للرئيس الأمريكي السابق جورج ولكريوش. فكرة غزو العراق وشن حرب عالمية ثالثة ضد الإسلام!

نشر دانيال بايبس في العام الماضي (جويلية2013) مقالا تحت عنوان (هل الإسلام قابل للإصلاح؟) افتتحه بهذه العبارة: «يشكل الإسلام في الوقت الراهن قوة رجعية وعدوانية وعنيفة» وإلى هنا يكاد بايبس يتفق في تشخيصه لواقع المسلمين ومكونات الإسلام وشرائعه وثقافته مع طرح نور الدين بوكروح .كما يلتقي نور الدين بوكروح في بعض ما ذهب إليه في الحلقة الثانية من مقاله المطول (هل نستطيع إصلاح الإسلام؟) مع طرح المحافظين الجدد في أمريكا ومع العديد من الفساوسة والمستشرقين ومنظري الفكر الصهيوني القائلين بان العنف والإرهاب ليسا مجرد سلوك من جماعات متطرفة من المسلمين ولكنه نابع من الدين الإسلامي نفسه. فيقول على سبيل المثال: «الذين يريدون تغطية أبصارهم حتى لا يروا الشكل الطافح من كل جانب والذي يسمم حياة الكوكب بأكمله ويصرون على التأكيد بأن الإرهاب لا دين له.ولا حدود له. وأنه غريب على الإسلام. وأنه لا يمثل شيئا بالمقارنة مع كتلة المسلمين الذين يعيشون بسلام. يجانبون الصواب. لأن هذا ليس صحيحا. فالتعصب والإرهاب هما منتوجان منطقيان لرؤية للإسلام ظهرت في القرن الثاني عشر ودخلت في المجال السياسي في سنة 1920 مع ظهور الإخوان المسلمين في مصر وجماعة الدعوة والتبليغ في شبه القارة الهندية»

لو كانت هذه النظرة للإسلام الحافلة بالتعصب والإرهاب التي طبعت القرن الثاني عشر موجودة فعلا كما يدعي بوكروح. فلماذا لا يزال التاريخ يذكر أحد أهم شخصيات التاريخ الإسلامي والعالمي في القرن الثاني عشر. وهو القائد صلاح الدين الأيوبي بكل فخر وتقدير. وظل هذا البطل يمثل في الوعي الأوروبي نموذج الفارس النبيل الشجاع المتسامح. رغم وحشية أعمال الإرهاب والتعصب التي مارسها الصليبيون ضد سكان الأراضي المسلمة التي تعرضت لغزواتهم المتكررة ؟!

وهذا مثال فقط عن بعض ما وقع في مشرق العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر. أما في المغرب الإسلامي فقد بلغت النهضة العلمية والثقافية ذروتها في الأندلس رغم الانقسام والتشتت السياسي الذي أصاب المسلمين . وكانت اللغة العربية التي انتشرت بفضل الإسلام هي لغة العلم والحضارة السائدة آنذاك. حتى أن ملوك أوروبا من أمثال ألفونسو العاشر ملك قشتالة كان ينظم الشعر باللغة العربية. كما كانت حاشية الملك الألماني فريدريك الثاني في أغلبها تتكون من العرب المسلمين.

وفريدريك الثاني هو الذي أنشأ معاهد للعلم- نواة الجامعات الأوربية في ما بعد- في بالرمو. ونابولي.. وغيرها. وكان الكثير من الطلبة يفدون من أوروبا إلى تلك المعاهد لتلقي العلم على يد الأساتذة العرب المسلمين. ومن أشهر علماء تلك الفترة نذكر - على سبيل المثال لا الحصر- الشريف الإدريسي أشهر علماء الجغرافيا في عصره. ونجم الفلسفة الإسلامية والعالمية في عصره محمد ابن رشد. فأين هي إذن النظرة الخاطئة بالتعصب والإرهاب التي طبعت الإسلام في القرن الثاني عشر؟

والأمر الأخر الجدير بالذكر هو: لو كانت جماعة الإخوان المسلمين هي السبب المباشر في ظهور الإرهاب نتيجة رؤيتها للإسلام. فلماذا لم تقم أمريكا والاتحاد الأوروبي بتصنيف جماعة الإخوان المسلمين في القائمة الطويلة التي تضم عددا كبيرا من التنظيمات والحركات الإسلامية في خانة الإرهاب؟

ولماذا اقتصر تصنيف جماعة الإخوان المسلمين في قائمة الإرهاب فقط في دول عربية لا تعتبر أنظمتها نموذجا لاحترام الديمقراطية وحرية الفكر وحقوق الإنسان؟

يتميز مقال الكاتب نور الدين بوكروح على امتداد حلقاته المنشورة في جريدة « لوسوار دالجيري» بجرأة غريبة على العلماء (علماء الدين طبعا) فقد كتب بلا حرج ولا تحفظ أن العلماء والشيوخ هم سبب تأخر الإسلام وأن الخطر على الإسلام يأتي من جهل العلماء ووحشية فئة من أشباه الناس ظهرت بأعداد قليلة ولكنها منتشرة في كل مكان. ويؤكد أن العلماء ليسوا هم من سيصلحون الإسلام لأن تكوينهم وثقافتهم ومصالحهم المادية مرتبطة ببقاء النموذج التقليدي للإسلام.!

ولا يكتفي بوكروح بإطلاق العنان لقلمه في التطاول على العلماء والحط من شأنهم ولكنه يتمادى حتى في سوء الأدب مع الله تعالى إذ يقول فيما ترجمته «إن الله لا يمكنه أن يفضل 15% من خلقه (المسلمين) ويحكم على البقية من عباده بدخول النار»!

ويتساءل المرء عما إذا كان الكاتب نور الدين بوكروح الذي يحرص على افتتاح حلقات مقاله بالأحاديث الشريفة و الآيات القرآنية. يجهل معنى قول الله تعالى في الآية 23 من سورة الأنبياء (لا يسأل عما يفعل وهم يسالون) وقوله تعالى في الآية 16 من سور البروج (فعال لما يريد) وقوله عز وجل: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)آل عمران85 . وقوله تبارك وتعالى في الآية 284 من سورة البقرة (فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

أليس هذا الإدعاء السخيف بالشك في قدرة الله تعالى وعدله. هو جهل أو طعن في أساسيات العقيدة الإسلامية التي تقوم على الإيمان بأن الله هو رب كل شيء ومليكه. مطلق التصرف في ملكه مطلق العدل. مطلق الإرادة. لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه؟ فكيف يدعي الكاتب نور الدين بوكروح أنه هو المؤهل لإصلاح الإسلام. بل لإعادة القرآن إلى موضعه كما تلقاه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قبل أن يتم تغيير ترتيبه بعد جمعه في مصحف في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ؟.

(يتبع)

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية

وضع اللغة العربية في الجزائر

أ. عبد القادر قلاتي

حال اللغة العربية في الجزائر كحالها في كثير من الأقطار العربية. فهي اللغة الوطنية بحكم مادة دستورية مستنسخة في كلّ الدساتير العربية. كلما احتجنا للتدليل على مشروعية وجودها. قلنا هي اللغة الوطنية. أما في الواقع فهي ميراث جامد بفعل الترك والهجران. فلا نجد لها أثراً واضحاً في حياتنا الثقافية. وان كنا نعلّم بها أبنائنا في المدارس والجامعات. إلاّ أنّها لا تخرج عن إطار الشكل والوسيلة. فهي أداة تعليمية جافة. نزعنا منها الروح وأبقينا الرسوم والأشكال. فإذا الطالب يتخرج من الجامعة لا يكاد يعبر عن حالة اجتماعية أو سياسية بصورة سليمة. بل لا يكاد يعبر حتى عن حالته النفسية التي يجسدها شعوره الذاتي. أما أن يكتب بها فتلك -لعمري- الطامة الكبرى.

قد لا يكون هذا الوضع عاماً إلاّ أنّ الاستثناء فيه قليل. فمن يتمكن من ناصية اللغة كتابة ومحادثة وإلقاء. فهو بمجهوده واجتهاده. ومن برز في مجال من مجالات الأدب والفكر والثقافة. كان ولعه بالكتاب والقراءة والمطالعة. هو الفاعل الأساسي لهذا النبوغ الفكري أو الأدبي. أما ما يتلقاه في المدرسة والجامعة فهو بضاعة مزجاة. لا تصنع وعياً ولا تقوّم لساناً. ولا تنتج مبدعاً. ولا يختلف الأمر كثيراً في اغلب الأقطار العربية. بل تكاد الصورة التي توضح حالة اللغة العربية في الجزائر تنطبق تماماً على بعض الدول العربية. مثل تونس والمغرب مع بعض الاختلاف البسيط. فالولع بالتحدث باللغة الفرنسية. والعمل على إفساح المجال لها في كلّ شؤوننا اليومية. صار مظهراً مقززاً لمن يعرف معنى الانتماء الحضاري ويؤمن به. فالتحدث باللغة الفرنسية أصبح سمة بارزة للمثقف. فكلّ من يزعم الانتماء لهذه الفئة. تجده يرطن بها. وكأنّها ولدت مصاحبة للسانه. ويكفي أن تدخل إدارة من الإدارات الجزائرية. لتدرك حجم الإذلال الذي يوجه للغة الأم لحساب لغة المستعمر. فإذا كنت تجهل هذه اللغة. فقد تواجه بشيء من الاحتقار والاستهزاء. يجعلك تحس بالغربة وأنت في بلدك العربي المسلم.

وليس بعيداً عن الواقع الثقافي والوضع الاجتماعي اليومي. نجد اللغة العربية غريبة عند الطبقة السياسية. فالمسؤول الجزائري يتكلم باللغة الفرنسية ويستخدمها وكأنها لغة الشعب الجزائري. أما العربية فلا تسمعها إلاّ قليلاً على السنة المسؤولين الجزائريين. والأسوأ من ذلك الجهل المطبق بأبسط مفرداتها. فإذا اضطر هذا المسؤول أو ذاك للحديث بها جاء بالعجب العجائب وفرّخ من المفردات الغريبة التي لم ينطقها العربي قط. ولم تعرفها مصادر اللغة العربية في أيّ عصر من عصورها. وهناك من لم تجر العربية على لسانه. فتجده إذا نطق بها كأنه أعجمي لا يكاد يبين. لكن ما يدعو للعجب ولا تعرفه بلد من بلدان العالم. هو أن يتكلم مسؤول رفيع بلغة غير لغته الوطنية في المحافل الدولية. ويصرح للصحافة والوكالات الإعلامية متجاهلاً لغته الوطنية. فهذا لا يحدث إلا في الجزائر. وقد شاهد الشعب الجزائر على وسائل الإعلام منذ شهور. عندما زار مسؤول أمريكي الجزائر. كيف تكلّم وتكلّف واجتهد للحديث باللغة العربية. بينما تحدّث المسؤول الجزائري باللغة الفرنسية. دون خجل ولا وجل. وكأنّها لغته الأم. أليس هذا احتقار للذات وتعد ساقر للهوية الوطنية. يجعلنا نرفع شعار الخطر الذي يداهم بلادنا وهويتنا وانتمائنا الحضاري. دون أن نشعر به؟ أليس هذا تعد من مسؤول كبير على هوية الشعب الجزائري؟ كيف يمر موقف كهذا دون محاسبة لهذا المسؤول؟

منذ شهور قليلة أجبر الرئيس التونسي منصف المرزوقي صحافيا كان يجري معه حواراً على قناة تونسية التكلم باللغة العربية. وأصرّ الرئيس على أن يعيد هذا الصحفي جملة -قالها باللغة الفرنسية- نُطقَها بالعربية قائلاً له: كيف تفهم أختي الأمية في الجنوب التونسي هذه الجملة؟ وأردف الرئيس الأصيل: هل يتكلم الفرنسي بلغة أخرى غير لغته الأم؟ لكن الأمر عندنا يختلف تماماً. فرئيس البلاد يوجه خطاباته للشعب الذي يجهل اللغة الفرنسية بنسبة تزيد عن التسعين بالمئة بلغة موليير. دون مراعاة لشعور هذا الشعب الذي يجهل هذه اللغة.

لكن مع هذا ومهما حاول المحاولون مّن لهم مواقف سلبية من اللغة العربية. ومن وضعوا أنفسهم في خدمة المشروع الاستعماري الغربي. أن يقضوا وان يزيحوا لغة القرآن من الفضاء الثقافي والاجتماعي الجزائري. فان مشروعهم إلى الزوال؛ لأنّ هذه اللغة موجود في النّفوس قبل العقول. ولا يمكن إزاحتها لحساب لغة أخرى مهما كان رصيدها العلمي والمعرفي. لأن اللغة هي عنوان الأمم والشعوب. ولا يمكن لشعب من شعوب العالم أن يختار عنوان غيره؛ لأنّه -ببساطة- سيمحو أثر وجوده.

ولا يمكن لشعب حيّ -كالشعب الجزائري- أن يفعلها.

guellatiabdelkader@gmail.com

وقفــــه فــور اغتيـــال الــوزيــر كـان خـدعــة وأكـذوبــة

استمرار «التنسيق الأمني».. جريمة بحق الفلسطينيين

أ. حسين لقـــرع

بعد أيام قليلة من إقدام الصهاينة على قتل زياد أبو عين، الوزير الفلسطيني المكلف بالاستيطان والأسرى، أعلنت السلطة الفلسطينية مواصلة «التنسيق الأمني» مع الاحتلال وهي التي أعلنت فور استشهاد الوزير أنها أوقفته احتجاجاً على القطرسة الصهيونية. ومقابل هذه التنازل المجاني، أبلغ وزيرُ الخارجية الأمريكي جون كيري كبيرَ المفاوضين الفلسطينيين صائب عريقات بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستستعمل حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن لمنعه من التصويت على مشروع قرار يحدّد مهلة زمنية لانهاء الاحتلال الصهيوني لأراضي ما قبل 5 جوان 1967.

ارتكبت السلطة الفلسطينية حماقة جديدة هذه الأيام. فبعد أن أعلن أحد قادتها الأسبوع الماضي «وقف كافة أشكال التنسيق مع الاحتلال» ومنها التنسيق الأمني. عادت السلطة بعد أيام قليلة وأعلنت ببرودة دم استئنافه مجدداً بذريعة أنه «يسمح بالحفاظ على المصالح الحيوية للفلسطينيين؟». دون أن تكشف السلطة عن طبيعة هذه «المصالح الحيوية» المزعومة التي تدفعها إلى التعاون الوثيق مع الاحتلال الصهيوني ضد شتى أشكال المقاومة حتى المظاهرات السلمية منها تحت مسمّى «التنسيق الأمني».

ويعترف الصهاينة بأن من أهمّ المكاسب التي حققوها من اتفاقية أوسلو الموقعة مع منظمة التحرير الفلسطينية في سبتمبر 1993، قيام «تنسيق أمني» بين الأمن الصهيوني والأمن الفلسطيني الذي سينشأ لاحقاً رفقة السلطة الفلسطينية بموجب هذه الاتفاقية، حيث يحرص الأمن الفلسطيني على منع المقاومة من القيام بأيّ «أعمال عدائية» ضد الأهداف الصهيونية في الضفة وقطاع غزة. وكان ذلك علّة وجود السلطة والشرطة الفلسطينية التي تعدّ 12 ألف عنصر تلقوا تدريباتهم على يد الجنرال الأمريكي دايتون.

وخلال 21 سنة كاملة، قدّم الأمن الفلسطيني «خدمات جليلة» للصهاينة لم يكونوا يحلمون بها على صعيد مطاردة عناصر المقاومة والزجّ بها في السجون أو التعاون مع الاحتلال للقبض عليهم تحت غطاء «التنسيق الأمني» ما جعل العلاقة تتشنّج بين حماس، ومعها باقي فصائل المقاومة، وبين السلطة الفلسطينية. ويؤكّد مسؤولون سياسيون وأمنيون عديدون في الكيان الصهيوني أنّ الأمن الفلسطيني أدى دوراً «فعّالاً» في إجهاض الكثير من عمليات المقاومة في الضفة. وحتى في غزة قبل خروجها من الاحتلال في 2005، ما ساهم في إنقاذ حياة الكثير من الصهاينة. وجعل حكومتهم تتقدّم للسلطة الفلسطينية مراراً بـ«شكرها الجزيل» على ذلك.

كما أكد مسؤولون صهاينة منذ نحو عامين أن الأمن الفلسطيني «نجح» في إنهاء أيّ أثر حقيقي للمقاومة في الضفة الغربية بفضل عمليات الاعتقال الكثيرة التي نفذها ضد الناشطين تحت غطاء «الأمن الوقائي».

والملاحظ أن عمليات الأمن الفلسطيني ضدّ المقاومة في الضفة ارتفعت بشكل ملحوظ بعد إخراج السلطة من غزة في 2007، بسبب تصاعد الخلاف بينها وبين حماس التي اتّهمت أمن السلطة بالتسبّب في استشهاد الكثير من قادتها وناشطيها على يد الصهاينة بسبب استمرار «التنسيق الأمني» مع العدوّ. ما أدى إلى انقسام عميق بين الفلسطينيين. وبمرور الوقت خفتت عمليات حماس في الضفة نتيجة تشديد أمن السلطة الخناق عليها بالتعاون مع الاحتلال والاستمرار في اعتقال ناشطيها والزجّ بهم في سجونها..

وبعد تحقيق المصالحة في مارس الماضي ثم تشكيل حكومة وحدة وطنية، تصاعدت الدعوات من حماس وباقي فصائل المقاومة للسلطة الفلسطينية لوقف «التنسيق الأمني» مع الكيان الصهيوني. لاسيما وأن هذا «التنسيق» سمح للصهاينة، في ظل استتباب الأمن بمواصلة الاستيطان دون هوادة حتى تجاوز عدد المستوطنين في الضفة نصف مليون. وكذا مواصلة تهويد القدس وابتلاعها. والاستمرار في تقويض أساسات المسجد الأقصى واقتحام المستوطنين له بشكل متكرّر.. وكل هذه النتائج ما كانت لتتحقق بهذا الشكل لو كانت هناك مقاومة يومية فاعلة في الضفة أو على الأقلّ انتفاضة شعبية ضد الاحتلال.

لكن السلطة بقيت تتجاهل نداءات فصائل المقاومة. إلى أن جاءت عملية اغتيال الوزير أبو عين منذ أيام لتقرّر السلطة فجأة وقف «التنسيق الأمني» مع الصهاينة وتعيد الأمل للفلسطينيين وكل الأحرار في العالم بإمكانية عودة السلطة إلى صفوف شعبها مجدّداً مثلما فعل الرئيس الشهيد ياسر عرفات الذي اختبر الصهاينة طويلاً. وحينما تأكّد من أنه لن يجني من تنازلاته شيئاً منهم، عاد من كامب ديفيد عام 2000 وأشعل الانتفاضة الثانية وأوقف «التنسيق الأمني» مع الصهاينة. وأطلق سراح المئات من مسجوني حماس ليقوموا بما يشاؤون من عمليات ضد الاحتلال. واستمرّ عرفات في موقفه إلى غاية استشهاده في نوفمبر 2004.

لكن السلطة سرعان ما خيّبت الأمل. وأكدت أنه لا أمل يُرجى منها ما دامت تحت قيادة عباس الذي يصرّ على أن لا يقتدي بعرفات. وأن ينتهج لنفسه نهجاً مغايراً. فبعد أن أوقف عباس الانتفاضة الثانية وعاد إلى «التنسيق الأمني» في فبراير 2005، هاهي السلطة -بإيعاز منه- تعلن بعد أيّام قليلة من استشهاد الوزير استمرار «التنسيق الأمني» مع الصهاينة بذريعة «الحفاظ على المصالح الحيوية للفلسطينيين؟». وتؤكد بذلك أن إعلانها وقف التنسيق فور اغتيال أبو عين كان يهدف فقط إلى امتصاص غضب الفلسطينيين وربح الوقت إلى أن تهدأ الأوضاع وتعود حليمة إلى عادتها القديمة».

صحيفة «يديعوت» العبرية أكدت أن عباس لا يستطيع وقف «التنسيق الأمني» مع الصهاينة لأنه يدرك تماما أن ذلك هو السبب الرئيس لاستمرار سلطته قائمةً كل هذه السنوات. ولولا الدعم الصهيوني لكانت حماس قد أسقطته منذ أمدٍ بعيد. ولذلك لن يوقف «التنسيق الأمني» مع الجانب الصهيوني أبداً. وأوضحت أن جهاز المخابرات الداخلية «الشاباك» أحبط العديد من محاولات حماس لإسقاط عباس. ولذلك فإن عباس يشعر بأن عليه «ديناً كبيراً» تجاه الصهاينة هو مطالب بردّه من خلال الاستمرار في «التنسيق الأمني» معهم.

أما الأدهى مما سبق، فهو استمرار «التنسيق الأمني» حتى بعد إعلان السلطة عن وقفه فور اغتيال الوزير، حيث قام أمنها بتنفيذ عملية مشتركة في نهاية الأسبوع الماضي في الخليل، اعتقل خلالها 21 ناشطاً من حماس، حسب «هآرتس».

وذكرت الصحيفة الإسرائيليّة أيضاً أنّ أكثر من ألف مؤيّد لحماس، حاولوا إحياء الذكرى الـ27 لتأسيس الحركة في مدينة الخليل منذ أيام، فقام الجيش الإسرائيليّ بهدم المنصّة، وصادروا الأعلام واليافطات التي كان يحملها الناشطون وبالمقابل قامت السلطة الفلسطينيّة بنصب الحواجز في الشوارع المؤديّة إلى مكان الاحتفال، واعتقلت قوات أمن السلطة العديد من الناشطين، الذين كانوا في طريقهم إلى مكان إحياء ذكرى انطلاقة حماس.

وتعني هذه المهازل أن وقف «التنسيق الأمني»، ولو لبضعة أيام، كان أكذوبة كبيرة ردّدتها السلطة بهدف امتصاص غضب الفلسطينيين على اهانة اغتيال الوزير أبو عين. أمّا الحقيقة فهي أنّ «التنسيق» مستمرّ مع الاحتلال ولم ينقطع يوماً. والسلطة ماضية في التعاون معه لمنع المقاومة في الضفة. وكذا منع اندلاع انتفاضة ثالثة. وهذا مقابل بقائها فقط تدير شؤون القطاع تحت وصاية الاحتلال وتمتّعها بأموال الفلسطينيين.

السلطة كانت على موعدٍ مع التاريخ للعودة إلى صفّ شعبها والتخندق معه ضدّ الاحتلال. لكنها فوّتتها على نفسها وآثرت الوقوف في صفّ الاحتلال مجدداً.. السلطة اختارت موقعها بشكل نهائي والكرة مرة أخرى في مرمى الفلسطينيين.

hocinel55@yahoo.fr

نهايـــة الحلـــم الصهيـونـــي

أ. محمد الحسن أكيلال

اليمين الإسرائيلي في حالة اضطراب وارتباك مما يعانيه من تضخم خلال السنوات العشرة الماضية من حكم رئيس حكومته «بن يامين نتانياهو» الذي عمل كل ما في وسعه لتحقيق حلم أسلافه من «هيرتزل» إلى «بن غوريون» إلى «غولدا مايير» إلى «شامير» إلى «شارون» الذي وضع الأسس الكبرى، بطرد قوات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت عام 1982، فاستدراج قيادتها إلى أوسلو عام 1993 ثم إدخالها إلى سجن رام الله لاغتيال رئيسها الراحل «ياسر عرفات» رحمه الله، الرافض للتوقيع على الاستسلام وهو يرى تسارع وتيرة مصادرة الأراضي في الضفة الغربية وبناء المستوطنات و الجدار العازل والمعابر وتقطيع الأراضي المحتلة عام 1967 بالضفة الغربية بشبكة من الطرق السريعة والسكك الحديدية حتى لا يبقى ما يمكن أن يتفاوض عليه كأرض للدولة الفلسطينية إلى جانب الدولة الصهيونية.

هذه الأسس التي وضعها «أرييل شارون» قبل أن يموت حيا لمدّة سنوات. وها هو البائس «نتانياهو» الطموح للبقاء فوق كرسي الحكومة الإسرائيلية لأكبر مدّة ممكنة قد تكون إلى عام 2017 للإشراف على الاحتفالات بمناسبة مئوية صدور «وعد بلفور» الذي لم يبق لذكراه إلا ثلاث سنوات.

الأكيد أن «نتانياهو» قد حقق في عهده إنجازات كبيرة بالنسبة للشعب الإسرائيلي، واليمين المتطرف منه خاصة. أهم هذه الإنجازات:

- تضخيم اليمين المتطرف وإضعاف اليسار وقوى السلام.

- توسيع رقعة الأراضي المخصصة للمستوطنين الأكثر تطرفا باعتبارهم في نظره الأكثر استعدادا للدفاع عنها في حالة ما تطورت الأمور إلى فرض تطبيق القانون الدولي على الدولة الإسرائيلية.

- تأليب الولايات المتحدة والغرب الإمبريالي لتدمير العراق وسوريا واليمن وليبيا ومصر لتحاط الدولة الصهيونية بالخراب باستثنائها هي الدولة الوحيدة القوية المزدهرة. والذهاب بعيدا إلى التآمر حتى ضد روسيا الأخابة باعتبارها وهي تسعى لإعادة بناء قوتها القوة الوحيدة التي يمكن أن تكون ضد طموحاتها ومشاريعها في المنطقة.

هي فورة جنون حقا تصيب «نتانياهو» واليمين المتطرف الذي تؤيده إسرائيل. لكن يبدو أن هذا الجنون فعلا قد أفقده حتى مجرّد النظر أمامه وخلفه كما كان حال كل اليهود منذ ظهورهم على هذه الأرض لأنهم بطبيعتهم مجبولون على الريبة والشك : هذه المرّة، الظاهر أنهم على ثقة مطلقة من حليفتهم وراعيتهم أمريكا التي فاز فيها أيضا اليمين المتطرف في الانتخابات التشريعية الأخيرة.

إن اليمين المتطرف على ضوء الانتصارات التي حققها في الداخل بتدمير قطاع غزة وتكبيل الضفة الغربية دون أدنى حتى مجرد تحذير من حلفاءه، نسي أن في هذه البلدان الحليفة شرائح واسعة من شعوبها بدأت تضيق ذرعا بممارساتها العدوانية وجرائمها ضد الإنسانية، لذلك لم تلتفت إلى البرلمانات الأوروبية التي بدأت تتالى في عقد جلسات للاعتراف ولو رمزيا بالدولة الفلسطينية، وآخرها الجمعية الوطنية الفرنسية التي زادت على الاعتراف تحديدا للسقف الزمني لنهاية المفاوضات مع السلطة الفلسطينية، وهذا يعني أن البرلمان الفرنسي تجاوب مع مطلب السلطة الفاضي بتحديد سقف زمني لنهاية الاحتلال.

«نتانياهو» المعروف بالدهاء والحذر تفطن إلى بداية تحرك المنافسين له في التحالف الحاكم فسارع إلى إقالة وزيرة العدل ووزير المالية، وأعلن عن انتخابات تشريعية مسبقة يهندس فيها التحالف جديد أكثر تطرفا ليعاد انتخابه لعهدة رابعة ليصل بها إلى الاحتفال بالذكرى المئوية لوعد «بلفور» عام 2017 ويسجل اسمه في قائمة الزعماء الصهاينة الكبار كأسلافه. لكنه كما هو معروف عنه عند أقرب مقربيه أنه جبان ومخادع. فهو لا شك أن هذه الخطوة هي التي ستدفع به إلى خارج الركح السياسي الصهيوني، بل والعودة إلى وطنه الأصلي الولايات المتحدة الأمريكية كما يقول العارفون به. بالمقابل السيد «محمود عباس» المتشدد في التمسك بعملية السلام يبدو أنه تعلم من اليهود كثيرا من الأساليب والحيل والمناورات والمراوغات فهو لم يتورع في كيل التهم دون التأكد لحركة «حماس» بأنها وراء تفجير منازل تسعة من قيادات حركة «فتح» في غزة، ليتخذ هذا ذريعة لتجميد عملية استلام تأمين معبر رفح من «حماس» و التنسيق التواصل مع أمن إسرائيل في معبر «كرم أبو سالم». هذا كله لتأجيل عملية إعادة إعمار غزة التي جمع لها المانحون مبلغ 5,4 مليار دولار، وهو والسلطة لا شك يريدون التصرف فيها والقيام بعملية إعادة البناء بالتقتير وفق حركية ترويض للمقاومة وحركة «حماس» التي تطالبه بإيقاف التعاون الأمني مع الصهاينة، وهو له عذره لأنه يرى في ذلك إعاقة لجهوده الدبلوماسية التي يرى أنها بدأت تؤتي ثمارها، وأن مسعاه الدبلوماسي يجب أن يتم بدون إحراج الولايات المتحدة والغرب الاستعماري الذي لا يريد لإسرائيل أن تحاكم في محكمة الجنايات الدولية على جرائمها ضد الشعب الفلسطيني.

السيد «محمود عباس» وهو يرى الدول التي تستقبله كرئيس دولة مثلما حدث له في جنوب إفريقيا في الأسبوع الماضي يرى نفسه فعلا رئيس دولة مثل أي رئيس دولة كبيرة وقوية، له الحق في أن يتصور، لكنه يجب أن يتذكر أنه الآن بدأ السير في الطريق السوي إلى الهدف الذي ما كان يسير فيه لو لم تكن المقاومة في قطاع غزة قد حققت له الموقع التفاوضي المطلوب والذي يسعى إليه رغم رفض إسرائيل له، بدليل أنه كلّف السيد «عزام الأحمد» بالسفر إلى القاهرة ليطلب من الحكومة المصرية أن تستدعي الوفد الإسرائيلي لبداية المفاوضات المؤجلة منذ شهر أكتوبر الماضي. هذه الخطوة الذي حسب لها «نتانياهو» ألف حساب قام بعزل وزيرة العدل «تسيبي ليفني» التي كانت هي المكلفة بالتفاوض مع الوفد الفلسطيني. وهذه الخطوة تعني أن إسرائيل قد غسلت أيديها من كل تفاوض مع السلطة الفلسطينية، لأنها قررت أن تستولي على كل أراضي الضفة الغربية وكل القدس الشرقية وتهدم المسجد الأقصى لتبني على أنقاضه هيكل سليمان المزعوم. وهذا قبل أن يحين موعد الاحتفال بذكرى مرور قرن على «وعد بلفور» عام 2017.

ولأنه مجنون فهو لا يرى الشباب الفلسطيني وهم يصعّدون في انتفاضتهم يوميا ومعهم كل شباب العالم بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية الذين ملّوا من تصرفات الصهاينة في بلادهم وفي فلسطين المحتلة.

hacen03@live.com

مطالب برفع اسم «القرضاوي» من قوائم الانتربول الدولي

طالب علماء ومفكرون وأكاديميون، الشرطة الدولية (إنتربول) بالإسراع برفع اسم رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، يوسف القرضاوي، من قوائم المطلوبين دوليا.

وجاء هذا في بيان أصدره أكثر من ثلاثمائة عالم وداعية وإمام وأكاديمي وباحث وناشط، من عدة دول.

وقال الموقعون على البيان «إننا - نحن العلماء- نرى أي استهداف أو مساس بمقام الشيخ يوسف القرضاوي أو بشخصه، هو مساس بنا جميعاً، وهو استهداف للمنهج الوسطي المعتدل الرشيد».

وأعربوا عن «استهجانهم وإدانتهم» لوضع اسمه على قوائم إنتربول، معتبرين أن هذا «تصرف لا مسؤول، وإهانة للإسلام والمسلمين، وللعلم والعلماء».

وورد في البيان أنه «كان يجب أن تضم أسماء المجرمين الحقيقيين المعروفين، ممن ينهبون ويسرقون ويقتلون ويحرقون شعوبهم، ويمولون الباطل، والعالم يعرفهم جميعا، والواقع يفضحهم، والتاريخ لن يرحمهم».

وأشار الموقعون على البيان إلى أن «القرضاوي إمام الوسطية الإسلامية، وواحد من أهم المجددين في هذا العصر، وعلم من أعلام الأمة الإسلامية، ورمز من رموز العلم والفكر، وهب حياته لخدمة قضايا الأمة، وللعمل والإنتاج العلمي والفكري، وبذل وسعه لنشر المنهج الوسطي المعتدل».

وأضافوا أن «مواقفه الرافضة للعنف والتشدد والإرهاب ثابتة في كتبه وخطبه ودروسه ومقالاته وفتاواه وبياناته، منذ عشرات السنين».

وقالوا: إن القرضاوي تجاوز 88 عاماً من العمر قضاها في حفظ القرآن الكريم وتفسيره وتعليمه للناس، وفي حفظ السنة النبوية وفقهها وحمايتها، وإنه كرّم نتيجة جهوده السابقة من المؤسسات الدولية ومن الدول العربية والإسلامية، وحصل على كثير من الجوائز من عدة دول.

ومن بين الموقعين على البيان: الوزير السوداني الأسبق الشيخ عصام البشير، ورئيس مركز تكوين العلماء في موريتانيا الشيخ محمد الحسن الددو، وعميد كلية الشريعة السابق في جامعة الكويت الشيخ عجيل جاسم النشمي، ومفتي القدس السابق وإمام المسجد الأقصى الشيخ عكرمة صبري، ورئيس الحركة الإسلامية في فلسطين 48 الشيخ رائد صلاح، والداعية اليمني الشيخ عبد المجيد الزنداني، وهيثم المالح رئيس اللجنة القانونية في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية.

وكان جهاز الإنتربول الدولي أصدر قبل عشرة أيام نشرة حمراء بحق عدد من قيادات ورموز جماعة الإخوان المسلمين، أبرزهم القرضاوي الحامل للجنسيتين المصرية والقطرية، وجاء إصدار تلك النشرة بناء على طلب من السلطات المصرية.

وكالات

مساعدات ألمانية للكيان الصهيوني في المجال العسكري

نشرت صحيفة «يديعوت احرونوت» أن التعاون الأمني بين «إسرائيل» وألمانيا يتعزز، فقد أفادت وسائل الإعلام الألمانية أن حكومة أنجلا ميركل ستساهم في تمويل بناء أربع سفن جديدة لسلاح البحرية الإسرائيلي.

وأفادت صحيفة «سنوتاغ» الألمانية أن «إسرائيل» معنية بشراء أربع سفن حربية من ألمانيا بمبلغ مليار يورو تقريباً.

وهذا المشروع سيتم تمويل أغلبه من قبل «إسرائيل». لكن الحكومة الألمانية تنوي استثمار حوالي 115 مليون يورو لصالح بناء السفن الأربع.

ويستند التقرير، كما تنقل صحيفة «يديعوت احرونوت» على الرسالة السرية التي بعثها نائب وزير المالية الألماني ستيفن كامبتر، إلى لجنة المالية في البرلمان الفدرالي الألماني.

وبحسب ما سرب من الرسالة فإن وزارة الدفاع الألمانية تطلب تخصيص هذا المبلغ لصالح «منظومات دفاعية لصالح إسرائيل». والهدف المعلن هو «حماية المنطقة الاقتصادية في البحر المتوسط».

ولفتت «يديعوت» إلى انه في السابق «نشر أن سفن سلاح البحرية الإسرائيلي ستشارك في حماية منشآت الغاز التابعة لـ«إسرائيل». خشية من تعرض هذه المنشآت الاستراتيجية للهجمات».

وذكرت الصحيفة انه في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر رست في شواطئ «إسرائيل» أول غواصة من بين ثلاثة جدد اشترتها من ألمانيا.

وتابعت «يديعوت» انه تتزايد في ألمانيا الانتقادات الداخلية للمساعدة الأمنية التي تمنحها حكومة ميركل إلى «إسرائيل». وهذه الانتقادات ارتفعت الصيف الأخير بسبب عملية «الجرف الصلب».

وكالات

إردوغان:

نسعى للتخلص من الاعتماد على الخارج في مجال التسليح بحلول 2023

كشف الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، عن نية بلاده التخلص من الاعتماد على الخارج في مجال الصناعات الدفاعية بحلول عام 2023، الذي يصادف الذكرى المئوية لتأسيس الجمهورية التركية، لافتًا أن بلاده باتت قادرة على سد احتياجاتها من المشاريع اللازمة في هذا المجال.

واعتبر أردوغان أن بلاده باتت تحتل مكانة مرموقة في مجال الصناعات الدفاعية، قائلا: «حصلنا على نتائج عظيمة في مجال الصناعات الدفاعية، لاسيما فيما يتعلق بالعربات المدرعة، والصواريخ، والقذائف، وبندقية المشاة المحلية الصنع، لا يمكن أن نتباهى بعد اليوم بإنتاج صاروخ يبلغ مداه 250 كيلومترا، نحن ملزمون بإنتاج صواريخ يبلغ مداها 750 و1500 و2500 كيلومترا، علينا أن نتدبر ذلك، ستكون تلك المنتجات قوة ردع في أيدينا، وتنقل البلاد إلى مكانة مختلفة».

كما أشار الرئيس التركي إلى أن تركيا قد حققت الاكتفاء الذاتي فيما يخص حاجتها من المشاريع في المجال الدفاعي، وتساءل قائلا: «ما فرق مواطنينا عن الذين في الغرب، ما الذي يحول دون إنجازنا لتلك المشاريع هنا، لماذا لا نستطيع تدبر الأمر إزاء من يصنعون أشياء بحجم عقلة الإصبع ويكسبون الأموال الطائلة من وراء ذلك».

جاء ذلك خلال كلمة له في اسطنبول، خلال حفل إطلاق مشروع قمر الاتصالات التركي «تركسات 6A»، أشار فيها أن القمر الجديد سيقوم بوظائف تجارية وعسكرية، حيث ستنتج الأنظمة الفرعية، والمحطة الأرضية، وجميع البرامج اللازمة من خلال الإمكانيات المحلية بشكل كامل.

وكالات

إنشاء أكبر موسوعة في العالم عن الحج والحرمين الشريفين

انتهت المملكة العربية السعودية من إعداد وتصميم أكبر موسوعة عن الحج والحرمين الشريفين في العالم من فترة ما قبل الإسلام حتى الوقت الحاضر.

وستنشر هذه الموسوعة، في موقع إلكتروني خاص، حيث توثق معلومات عن الحج والحرمين الشريفين من فترة ما قبل الإسلام حتى الوقت الحاضر بجميع أبعاده التاريخية والحضارية، والثقافية.

وقال مدير المشروع عبد الله بن صالح الرقيبة إن تاريخ بدء العمل في هذا المشروع، يعود لعام 1429هـ، مشيرا إلى أن هذا العمل البحثي أشرف على إعداده 115 فريقا يضم 432 باحثا وباحثة في مجال دراسات تاريخ الحج وجغرافيته من السعودية ومن دول عربية وإسلامية.

وأضاف أنه سيتم إطلاق هذه الموسوعة بشكل رسمي في غضون ثلاثة أعوام، إلى حين إتمام عمليات مراجعة المعلومات المتضمنة فيها وتدقيقها وتسجيلها ليتم إدراجها بشكل علمي صحيح وتصبح متاحة للجميع من أجل تعميم الفائدة العلمية خاصة لدى الباحثين والمهتمين بشؤون الحج.

وكالات

السعودية:

4 آلاف مسلم جديد بينهم وزير الكنيسة الفلبيني

أعلن مركز ركن الحوار للتعريف بالإسلام ومقره مدينة الدمام شرق السعودية عبر شبكة الإنترنت ومن خلال حساباته في مواقع التواصل عن وصول عدد المسلمين الجدد الذين أسلموا عبر خدمة الحوار المباشر إلى 4000 مسلم جديد من 106 دول، اختلفت أديانهم السابقة، وأعمارهم، وأجناسهم، وتمت حواراتهم مع دعاة المركز بما أزال كل شبههم، وأجاب عن أسئلتهم، ودفعهم إلى الدخول في الإسلام.

وبين مدير المركز ماجد العصيمي: أن العمل لا يتوقف فقط على تعريفهم بالإسلام تعريفاً صحيحاً بل يمتد بعد ذلك لاحتوائهم اجتماعياً، وعلمياً من خلال أكاديمية المسلم الجديد التي بلغ عدد المنتسبين فيها 9541 مسلماً جديداً تلقوا 700 محاضرة، وكذلك تدريب وتأهيل المعرفين بالإسلام؛ لزيادة الإنتاجية الدعوية في مجال الدعوة، والتعريف بالإسلام عبر أكاديمية رسل السلام التي تجاوزت عدد ساعاتها التدريبية 432 ساعة، لصالح 3589 متدرباً، هذا وأعلن المركز أنه بفضل من الله أسلم وزير الكنيسة السابق في الفلبين، بعد أن تم الإجابة على أسئلته وكافة استفساراته، قبل أن يفصح عن شعوره بالارتياح لدين الإسلام والاستسلام لله وحده.

الجدير بالذكر أن خدمة الحوار المباشر هي خدمة مجانية مباشرة تعمل على مدار الساعة بسبع لغات عالمية.

وكالات

ركن الحوار

الدعـــوة والإنسان الســـــويّ

عبد العزيز كحيل

خلص الدعاة الراسخون والعلماء العاملون من قراءاتهم المتبحّرة، وتجاربهم الميدانية الممتدّة في الزمان والمكان والعمق إلى أنّ انتصار الإسلام مرتبط شرطيا بوجود «الإنسان السوي» صاحب المشاعر الصادقة الفياضة والتفكير الصحيح الهادي. أي صاحب الفطرة السليمة التي أشار إليها القرآن الكريم:

- {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} (سورة الروم:30).

- {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} (سورة الانفطار:7-6).

- {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}(سورة التين:4).

فإذا كانت المشاعر كاذبة أو باردة، وكان التفكير سطحيا أو ميّتا، تحوّل الدين إلى مجرّد طقوس ليزداد الأمر سوءا إذا اغترّ الإنسان بذكائه في حين يعاني الخواء الروحي، لأنه سيحوّل الدين حينذاك إلى مصيدة للمغانم سواء ألّف الكتب أو ألقى الخطب أو امتهن الشعوذة. وما أخطر حال من ينطوي على أمراض نفسية ثم يتظاهر بالغيرة على الإسلام، فينسى تزكية نفسه وأداء حقوق الله -عز وجل- ويشتغل بأخطاء المتعثّرين وينقم على العاملين في الدعوة إلى الله تعالى. وهذا حال فتيان أخذوا شيئًا من العلم الشرعي من الكُتب والصحف، ولَم يتتلمذوا على العلماء الراسخين والدعاة العاملين، فظنوا أنفسهم على قدْر كبير من التقوى والتزكية، وخرجوا على مجتمعاتهم بالتكفير وسفك الدماء، حتى إن بعضهم لم يسلم منهم المسجد الحرام نفسه " رغم قدسيته " في أحداث 1979 الدامية المؤلمة. كما كان هذا حال أحبار بني إسرائيل عندما ألحّوا على المسيح عليه السلام " كما ورد في الآثار- أن يرجم الزانية، ولم تكن غَرَكهم الغيرة على شرع الله تعالى بل قسوة القلوب وغلظة الطباع، لذلك أفحمهم بقوله «من كان منكم بلا ذنب فليرجمها». وصدق " عليه السلام - فاضطراب صلتهم بالله -عز وجل- هو الذي أدّى بهم إلى تحجّر العاطفة وحبّ البطش والشماتة في المذنبين، وما ينبغي للدعاة أن يكونوا هكذا وهم أصحاب العيون المؤمنة. وإذا كانت العين الحاسدة تضرّ الإنسان فإن العين المؤمنة تنفع لأنها عين حانية مشفقة تؤثر في اتجاه الحق والخير والنور والجمال... وتلك هي الفطرة السليمة وذلك هو الإنسان السوي...رأس ماله حرفة وغضب على الباطل واستعلاء على الفجور يستدرك بقلبه الكبير على العجز في أعماله الصغيرة، أو هكذا يرى نفسه بفضل تواضعه.

إن الداعية يمتلك أرفع أنواع الوعي وهو وعي الذات، به ينّهم نفسه بدل أن ينزّهها وينادي عليها بالبراءة لمعرفته أن آلة لوم الآخر تحبي آلة تنزيه الذات وتقديسها. بهذا ينتصر هو فينتصر الدين الذي يدعو إليه. كيف لا وهو يقرأ في كتاب ربّه حديثا متكررا عن «ظلم النفس» ووجوب بدء عملية التغيير بها:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(سورة الرّعد: 11).

بهذا السمت الربّاني يتفادى الداعية في نفسه وفي غيره التديّن الصوري الذي كثيرا ما يكون وراءه قصور عقلي وغرور أعمى، ويشتغل بالخشوع والإخبات إلى الله -عز وجل- والسجود الحقيقي الذي يشير من خلال سجود أعضاء الجسد إلى انقياد القلب لهداية الله تعالى وأمره ونهيه:{وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}(سورة العلق:19). كما يشتغل بالإيمان المثمر الذي يؤتي أكله كل حين بإذن ربه. الإيمان الذي مكّن يوسف -عليه السلام- من تحويل الزنزانة إلى ساحة للدعوة، ومكّن العلماء والدعاة من إدخال التتار في الإسلام بعد أن انهزم السياسيون وخذلوا دينهم وأمّتهم وانكسروا أمام أقوام همج لا دين لهم ولا خلق، تمحّضوا للتخريب والإفساد في الأرض، ومكّن التجّار من فتح قلوب الناس للإسلام في إفريقيا وآسيا، فانساب فيها دين الله تعالى بغير سيف ولا حرب ولا مواجهة.

إن الأمة مكلفة بتبليغ كلمة الحق للبشرية كلها، وقد أتاح لها التقدم العلمي وسائل تيسّر لها مهمة التبليغ بالكلمة والصورة والكتاب والصحيفة وغيرها، إلا أن البداية الصحيحة لنجاح الدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وتعبيدهم لله تعالى تكمن في بناء الداعية ذاته بناء حقيقيا لا صوريا، فهو يبنى عقليا بالثقافة الشرعية والإنسانية اللازمة لمهمته، وخلقيا بالفضيلة، وروحيا بالعبادة، واجتماعيا بالعمل الجواري الذي ينمّي شبكة العلاقات العامة، وسياسيا بالتوعية العميقة المتينة، بذلك يكون داعية سويّا تعدّه الأمة للدنيا والآخرة معا، فهو صالح في نفسه مصلح لغيره، وإنما أبدأنا وأعدنا في وصف «الإنسان السوي» لأن فساد الطبيعة والعقلية هو المشكلة حقا، وهو أكبر من فساد أخلاق المجتمع لأنه يقضي على إنسانية الإنسان فينقلب إلى آلة تدمير ولو لبس لباس الدين، فانحراف الفطرة هو الخطر الأكبر، اقرأ قول الله تعالى:{أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}(سورة النمل:56) . لتدرك تلك الخطورة، فقد أصبح التطهّر - أي الالتزام بالوضع الطبيعي- تهمة تجلب السخرية، ذلك هو انحراف الفطرة الذي يصبح معه الجمال قبحا والقبح جمالا، فضلا عن كل القيم الأخرى، ولنا تجسيد معاصر لهذا الانحراف يتمثل في الحضارة الغربية التي حرمت التوجيه الرباني فأبدعت في الأشياء وأفسدت الإنسان، وعندنا تجسيد آخر مؤسف يتمثل في دعاة يؤثرون الغلظة في كل شيء، ويديرون ظهورهم لكل أمر فيه حسن، متقربين بذلك إلى الله تعالى، فأنّى يصغي إليهم الناس وأنّى تبارك السماء سعيهم؟

وتبقى القدوة الأعلى والأرفع هي الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تفكيره ومشاعره وسلوكه وهديه جميعا، فهو النموذج الأمثل للدعاة، ينبغي التماس مواطن القدوة في أقواله وأفعاله وحياته كلّها بنظر ثاقب وبصر واع وفهم عميق يحسن الإحاطة بملابسات الزمان والمكان والحال.

نحو تحسين تمثيل الجزائر في المحافل الدولية

أ: محمد العلمي السائحي

لقد أثارت الزيارة الأخيرة لرئيس الحكومة إلى فرنسا، السيد عبد المالك سلال، استهجانا من قبل الأوساط الشبانية في الجزائر، بسبب الاستقبال السيء الذي حظي به،وبسبب لغة الخطاب والإشارة التي استعملها معه الرئيس الفرنسي فرانسوا هولند التي رأوا فيها ضربا من التطاول والتعالي عليه، ولأسباب أخرى لا داع لذكرها وردود الفعل هذه اتجاه هذه الزيارة مردها إلى غيرة شبابنا على السيادة الوطنية فهم يرون أن رجال الدولة من مسؤولين ووزراء يتوجب عليهم في الزيارات التي يقومون بها إلى الخارج أن يتذكروا أنهم لا يمثلون فيها أنفسهم وإنما هم يمثلون الجزائر شعبا ودولة، وثقافة وحضارة، ومن ثم عليهم أن يحرصوا كل الحرص على أن لا يبدّر منهم ما يسيء لدولتهم أو شعبهم، وأن يكونوا يقظين لكل تقصير يصدر من الغير اتجاههم وأن يتصدوا له بحزم، لأنه ليس تقصيرا في حقهم هم، بقدر ما هو تقصير في حق الدولة التي يمثلونها، والشعب الذي يتحدثون باسمه وينوبون عنه، ولا خلاف على أن شبابنا أصابوا وما أخطأوا في موقفهم من هذه الزيارة والدليل على ذلك، أن الأستاذ الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم قام في السبعينات بزيارة للاتحاد السوفياتي الذي كان أحد القوتين العظميتين في ذلك العهد، لما حطت طائرته بالمطار وأبلغ أنه سيستقبل من طرف شخصية سوفياتية أدنى درجة منه ألغى الزيارة ورفض النزول من الطائرة وعاد أدراجه إلى الجزائر لأنه اعتبر ذلك إهانة موجهة للدولة الجزائرية التي يمثلها، ويشهد لذلك أيضا أن الرئيس الراحل هواري بومدين حين توجه إلى الجمعية العامة بالأمم المتحدة أصر على أن يلقي خطابه فيها باللغة العربية باعتبارها لغة الدولة التي يرأسها ولغة الشعب الذي يمثله، وهذا يؤكد ضرورة أن يعي كل العاملين في سلك الدولة أن كل ما يصدر عنهم يجب أن يكون محسوبا حتى لا يسيء إلى الدولة التي يجسدونها بأقوالهم وأفعالهم، كما عليهم أن لا يقبلوا بأي إهانة توجه إليهم لأنها إهانة موجهة إلى الدولة والشعب من خلالهم، وهذا متعارف عليه في الأعراف الدبلوماسية منذ القديم يشهد لذلك ما رواه التاريخ من أن الإمام عبد القاهر الجرجاني أوفد إلى سفارة إلى روما وكان الامبراطور الروماني يعرف أن المسلمين لا يركعون ولا يسجدون إلا لله، فأراد أن يجبره على الركوع له، فأمر أن يبنى بابا صغير منفذا إلى قاعة العرش، وأن يُدخَل منه يوم قدومه عليه، فلما جاء ذلك اليوم، وقدم الإمام عبد القاهر الجرجاني وسيق نحو ذلك الباب، أدرك قصد الامبراطور وما يريده به، فاستدبر الباب ودخله مدبرا ولما صار بقاعة العرش استدار منتصبا وواجه الامبراطور، فانبهر الامبراطور بذكائه وأدرك أنه تفطن لما أراده به.

هكذا هم رجال الدولة لا تفوتهم شاردة ولا واردة، يدققون في كل ما يعرض لهم وينزلون كل الأمور منازلها، ويتصرفون بمقتضى ذلك، فلنكن نحن مثلهم رجال دولة بحق ونحسن تمثيل الجزائر في المحافل الدولية...

التغيير ضرورة تمليها ظروف الحياة

أ. الخميسي زرواق

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد:11).

الكل يرى بأن التغيير ضرورة تقتضيها ظروف الحياة المختلفة مادية كانت هذه الظروف أم معنوية؟ حتى في حجرة نومه وملابسه ومأكله ومشربه. فضلا عما يحيط به من الوسائل المختلفة الاستعمالات للحياة — عامها وخاصها — يرغب الإنسان في تغيير هذه الأشياء وغيرها التي إن بقيت مدة من الزمان: قد تطول أو تقصر حسب نفسية وظروف الشخص، وظروف عمله؛ صارت الحياة رتيبة مملة وأحيانا كئيبة؟

لكنه لا يريد هذا التغيير أن يطول سلوكه، أو أن يطرأ عليه هو..؟ ولو بتطوير أسلوبه في الحياة؛ وفي التعامل مع الآخرين. بل إن الكثير منا — بني البشر— خصوصا في هذه الرقعة من الوطن العربي يرى في نفسه الثابت الذي إن تغير هو اختل نظام الحياة في هذه الدنيا...؟

عجيب غريب أمرنا أبناء الشرق هذا الذي كان نوره ذات يوم من الزمان يملأ ربوع العالم؟ كأننا لم ننظر حولنا كيف هي الأمور تتغير في الطبيعة عامة وفي هذه الحياة من حال إلى أخرى — إيجابا وسلبا — في كل جزء من الزمان قد يكون «الثانية» وأن لكل حال تأثيرها الإيجابي والسلبي في هذا الكون الذي بدونه لا يستقيم لها أمر؟

وكيف ينتقل الناس من حالة إلى أخرى بالحياة أو بالممات، سنة التغيير هذه؛ سنة الله في خلقه؟ وأنها إن جمدت مكانها — الأوضاع الاجتماعية، والثقافية، والتربوية، والاقتصادية، والسياسية...الحضارية — آلت إلى الزوال؛ أو إلى الرتابة المملة، وفي أقل الأحوال خطورة أدت إلى تفاعلات لا تكون بالضرورة في صالح الفرد ولا الجماعة..؟

كما أن أهداف التغيير ومناهجه تعددت أسبابها وكثرت دوافعها لتطور شهدته الإنسانية عبر الأمان، ووفرت الوسائل الناجعة لها، وطورت أساليب العمل من أجل تحقيقها، ورصدت الأموال الكافية لذلك، وصارت تخضع للتقويم والتطوير والإصلاح على مدار الساعة عند غيرنا من شعوب العالم التي صارت تسير بخطى محسوبة ثابتة نحو تحقيق أهدافها المتنوعة — الخفية والمعلنة — وهو أمر مشروع للجميع، وصارت تستقطب طاقات وعقول أبناء الأمم الأخرى..

غير أننا نرى الأمر عندنا على العكس من ذلك تماما، جمودا وتصلبا وركودا جعل الأمر مستعصيا على خبرائنا ومفكرينا وعلمائنا، لا لضآلة في معارفهم، ولا لخور في عزائمهم، ولا لضعف في عقولهم، ولا لهوان في نفوسهم، بل لعدم توفير أبسط وأدنى الشروط التي وفرتها لخبرائها وعلمائها الأمم التي حازت على الفوز في العديد من مجالات الحياة المطردة، ولا أكون قد اكتشفت العقيق الأحمر إذا قلت وتأتي على رأس هذه الشروط الحرية، والعدالة، والأمن، والاستقرار، وكلها تكاد تكون معدومة في أوطاننا المنكوبة بمسئولينا..

الشجاعـــــة المغلوطـــة

أ. إبراهيم قمور

الشجاعة من الخصال الحميدة، والصفات الكريمة، يتحلى بها أولو العزم، وأهل الصبر، وأصحاب الإيمان العميق، ومعناها في اللغة الإقدام والثبات والجرأة، ولها معنى الثبات في ديننا الإسلامي الحنيف، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ) وقال رسولنا محمد صلىَ الله عليه وسلم: «الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده، وإن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية ». ويعرفها -أي الشجاعة- مفكرون بأنها سلوك يتوسط بين موقفين: الأول الجبن والخوف، والثاني التهور والإقدام على هوة التهلكة، وتهدف إلى تحقيق أهداف معينة، فالجنود الذين يخوضون المعارك في الحروب العادلة والثورات المنصفة لا يهابون الموت، ولا يبالون بقصف المدافع، ولا بأزيز الطائرات، ولا بفتك الأساطيل، ولا يفزعهم ما يرونه من دماء جارية، وأشلاء متناثرة، وكذلك الأطباء يخاطرون بحياتهم في مقاومة الأمراض القاتلة دون خوف من العدوى، وبعد من الشجعان كل الذين يقدمون على المغامرة بأنفسهم وأموالهم حين يدعو الواجب، وينادي الوطن، وقد أوجب ديننا الإسلامي الحنيف على المؤمن الثبات والتحكم في النفس عند المواقف الصعبة، لأن ذلك من أسباب الحياة الراضية عوض الانتهاء إلى الشقاء والتهلكة المحققة، وفي مثل تلك المواقف يقول علي بن أبي طالب: «رب حياة سببها التعرض إلى الموت، ورب ميتة سببها طلب الحياة».

ومنذ القديم كان نموذج المغامرة بالحياة الدنيوية في سبيل الحق ونصرته عملا مشهودا قام به الأنبياء والرسل والعلماء والمصلحون عبر الأزمنة المتعددة، وتحملوا في ذلك أعباء ثقيلة وما وهنوا وما ضعفوا، ولا يخفى على أهل الفطنة أن الشجاعة -الحقيقية- هي التي حفزت إرادة المستكشفين فاستصغروا العقبات والحواجز حتى وصولوا إلى ما يريدونه، فامتلأت الأرض -كما نرى- بشتى المخترعات، وانتشرت المستحدثات، واتسع العمران وارتقت الحضارة، وتطورت وسائل الانتقال والإعلام، تطورا رهيبا، فألغت المسافات البعيدة مما جعل المجتمعات تتقارب من بعضها في التصور والتقدير وإصدار الأحكام على الأشياء والتنظيمات، ومن مواقف الشجاعة التي شاهدناها في هذه الأسابيع الأخيرة ذكرى مظاهرات 11ديسمبر1960م التي عبرت من خلالها الجماهير الشعبية الجزائرية عن إرادة الحرية والاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية.

ومن الواضح أن الصراخ في الساحات والشوارع وأمام المؤسسات في مطالب نقابية ليس من الشجاعة في شيء ولهذا فما تقوم به بعض الفئات الاجتماعية والمهنية من ضجيج وغلق وتكسير، وتعطيل لبعض المصالح لا يكون من خصائص الشجاعة غير المغلوطة وإنما ينضم إلى قطار الفوضى، وإضاعة الوقت والجهد وترجيح ظاهرة التضليل، وعرض صورة بائسة عن أوضاع المجتمع، ومع الأسف فقد نشأ لدى طائفة من شبابنا أن اللجوء إلى التخريب والتدمير شجاعة محمودة، بينما هي سلوكات مذمومة، ولو كانت بناءة من بعض جوانبها، لأنها توقظ النائم، وتنبه الغافل، وترشد التائه في شعاب الضلال، فهذه الشجاعة، في نظر الشباب نقد مغلوطة وفلا تسمى شجاعة باعتبارها تجري في أجواء من العنف والتهريج، عوض الهدوء والتأني، والسعي الجدي إلى الأهداف الدائمة وتجنب الوقوع في مهب المصالح المؤقتة، والشجاعة الحقيقية المتبصرة تتجلى في حسن التصرف عند المواقف العسيرة، وهي تحفظ للإنسان عرضه وتصون له ماله وتحقق له آماله وأمانيه، وتمكنه من أن يعيش عزيز الجانب موفور الكرامة رفيع الشأن والمكانة، وهي تحمي المجتمع من تسلط الاحتلاليين وتطهره من عبث المفسدين وترفعه في سلم المعالي حيث التقدير والمجد الإنساني، ولما كانت للشجاعة هذه الأهمية فمن المطلوب الاجتهاد في نشر أسبابها وظروفها الملائمة لتنموها وسط الشباب كي ينهضوا بواجبات ويدفعون بقوة في سبيل التقدم والرقي، وتكتمل هذه التربية المقصودة لتوجيه الشجاعة بوسائل متعددة من بينها مزاولة الرياضة التي تدرب على حب النظام وتحمل عناء الصبر، كما تدرب على خلق الجرأة والتعاون في طريق الخير والنفع وإبعاد الشر والأنانية وحماس العدوان، مع استعراض وتحليل نضال الأبطال واجتهادات المصلحين إلى جانب تثقيف العقول حتى لا تقبل الخرافات وأحاديث الأوهام، وهذا يبعدنا عن الشجاعة المغلوطة ويزيدنا قربا من الشجاعة الصحيحة التي تتجلى في حسن السلوك عند المواقف العسيرة والمعقدة، والسيطرة على النفس وحملها على الهدوء حينما تثور أحداث التغيير التي تمثل بها العواطف والقلوب قبل أن تتجه إلى الصواب والأفضل والأنفع ومتى كان التهريج والتخريب شجاعة بناءة؟

أ. عبد الباقي صلاي*

صدمة انهيار أسعار النفط على الدول المصدرة -منظمة أوبيك- ليست بالجديدة، كما أنها ليست بالمفاجئة إذا ما توخينا الحقيقة، ونظرنا إلى المعطيات الاقتصادية التي تتحكم في هذه البضاعة، وفي تسويقها، على أنها معطيات خاضعة لتقلبات السوق، وتقلبات السوق كما هو متعارف عليه لدى فقهاء الاقتصاد يحكمها العرض والطلب، لكن الصدمة الكبرى هي ألا أحد استطاع من الدول المصدرة للنفط أن يستقرئ الواقع، ويستشف المستقبل، ويحسن تدبير تقلبات السوق، بما يخدم على الأقل تكلفة الإنتاج.

بعد تداعي أسعار «البترول» العالمية:

سوق النفط خارج العرض والطلب !!!

وقد تسارعت الانهيارات لسعر النفط، واعتبرت هذه الانهيارات لدى أغلب الدول التي تعتاش بالنفط، بمثابة الزلزال الذي لا يبقي ولا يذر، بل هناك من اعتبر أن هذه الرحلة تعد من أخطر المراحل على الإطلاق، وأن ما تمر به الدول المصدرة للنفط من صعوبة في فهم ما حدث لأسعار البترول، ومن صدمة كبيرة لهذا التحول الكبير في سوق النفط، يعتبر بكل المعايير خطيرا للغاية، ويؤسس لمرحلة جديدة قد تنهار فيها دول، وتغرق في وحل الأزمة التي لا مخرج منها.

الأمين العام لـمنظمة أوبك «عبد الله البدري» يعتبر أن عاملي العرض والطلب لا يبرران الانهيار الذي حدث في أسعار النفط، مشيرا إلى دور كبير محتمل «للمضاربة» في هذا الوضع.ومضيفا على هامش «المنتدى الإستراتيجي العربي في دبي»: «نريد أن نعرف ما هي الأسباب الرئيسية التي أدت إلى هذا الانخفاض في أسعار النفط، مؤكدا في ذات السياق على أن هناك زيادة بسيطة في العرض والطلب لا تؤدي إلى هذا الانخفاض الذي بلغ نحو 50% منذ حزيران/ يونيو الماضي.

وقد شدد البدري على أن أوبك ما زالت تحافظ على سقف الإنتاج نفسه منذ عشر سنوات، وهو بحدود ثلاثين مليون برميل يوميا، فيما أن المنتجين من خارج المنظمة أضافوا حوالى ستة ملايين برميل يوميا إلى المعروض، معتبرا أن النفط الصخري الذي ارتفعت معدلات إنتاجه بقوة في السنوات الأخيرة في الولايات المتحدة وكندا والذي يقدر حجمه بثلاثة ملايين برميل يوميا، له تأثير على السوق لكن كلفة إنتاجه عالية تصل إلى سبعين دولار للبرميل.

إنّ الحقيقة لم تعد خافية على أن سوق النفط لم يعد في ظل ما يجري من أحداث، وتوترات خاضع لمعيار العرض والطلب، لقد أصبح سوق النفط له آليات خاصة، لا يخضع البتة لمعيار الاقتصاد، أو حتى لمعيار المضاربة التي تحدث عنها الأمين العام لمنظمة أوبيك، أما على مستوى السياسة، والجيوسياسية، والصراع الدولي فإن سعر النفط يخضع للأقوى الذي يستطيع أن يتحكم في الأسعار كما يشاء، وكيف يستطيع أن يرفع ويخفض في عملته المحلية.

في كتاب الصحفي الفرنسي «جان جاك سرفان شرايبر» يتطرق لما تعانيه اليوم منظمة أوبيك، وبصيغة متوافقة لما تعيشه الدول المصدرة للنفط من قلق على مستقبل سوق النفط، لقد أردنا أن ننقل ما جاء في هذا الكتاب على لسان خبراء النفط في حقبة قد تزيد على ثلاثين سنة مضت، وللقارئ الكريم الحكم في المقارنة بين اليوم والأمس.

يقول جان جاك سرفان شرايبر: «يوجز البروفسور أديلمان عقيدته في فهم منحى سوق النفط على النحو التالي:«في الواقع، ثمة فائض من النفط في الأسواق العالمية، فإذا عرفت البلاد المستهلكة كيف تتفاهم وتتخذ الإجراءات الأولية المتوافرة لها، ففي إمكانها أن تقلب الأوضاع عندما تشاء، إن في إمكانها، بل ينبغي عليها أن تحطم أوبيك،ذلك أن وجود أوبيك، واحتكارها للنفط، يشكلان تهديدا خطيرا لا يمكن قبوله، ويمكن التحرك بسرعة، لأن أوبيك مصطنعة وسريعة العطب، وينبغي التحرك بسرعة، وإلا حصلت أوبيك من مداخيلها التي تتأمن لها، إضافة إلى النفط، على قوة مخيفة تهدد وتدوم، عندئذ ستتضاعف الفوضى، المناورات الخاطئة لدى البلاد المستهلكة، وتقوم منافسة شيطانية فيما بينها، للحصول على النفط، وسيكون ذلك قريبا، بأي ثمن».

ومن زاوية أخرى يقول أشهر محلل مسائل النفط السيد والترح ليفي، الذي يعد مرجعا في أفضل المجلات الاقتصادية باللغة الإنكليزية، بالرأي نفسه: «لا تستطيع الولايات المتحدة والغرب، ولا ينبغي لها إطلاقاً، أن تسمح بأن تصبح إمداداتها الحيوية تحت رحمة قبضة من دول الشرق الأوسط، المتوترة للغاية، والتي لا يمكن ترقب مسلكها، وإلا فإن الأمن كله، وحتى الحرية السياسية نفسها في الأنظمة الديمقراطية الصناعية ستصبح مقضيا عليها».

إن من يقرأ ما كتبه الغربيون الخبراء في النفط في السنوات السابقة، ويحاول أن يطابق ذلك على ما يجري اليوم على الساحة العالمية، يتأكد أن الغرب لم يستوعبوا درس الصدمات البترولية التي مرت عليهم منذ 1960، ولم يستوعبوا اللعبة العالمية فيما يخص النفط، ولم يفقهوا شيئا عن المستقبل خارج سياق النفط، كما أنهم لم يفقهوا دور النفط في تحديد معالم السياسة الكبرى للدول، لا أدري لماذا تنزعج الدول المصدرة للبترول من انهيار الأسعار، على الرغم من الأمر منتظر في أي لحظة، ولو أني مقتنع بأن الدول العربية بحكامها لا يسيرون الدول وفق رؤية إستراتيجية مستقبلية، بقدر ما يسيرون دولهم وممالكهم وفق رؤية يومية ضيقة، تنحصر في مسائل لا تبتعد عن تسيير رئيس البلدية ليومياته مع حربه ضد النفايات.

الأزمة البترولية هذه المرة عصيبة للغاية، لأن اللعبة أكبر من منظمة» أوبيك» التي تجتمع في دبي لتبدأ طرح تساؤلاتها عن الأسباب الكامنة وراء انهيار الأسعار، وبدلا ما تتوسع وتستقيض في شرحها لأسباب انهيار الأسعار، عليها أن تبحث في آن واحد الحلول التي يجب إيجادها للحفاظ على الثروة التي هي في باطن الدول العربية، لكنها في الواقع يحكمها الآخرون، إن إنتاجاً، أو بيعا بالسعر الذي يريدونه !!!.

*إعلامي ومخرج

أ. محمد الهادي الحسني

الخزاعي التلمساني

أحيا بعض المسؤولين الحاليين والسابقين الذكرى الأربعين لموت أحدهم «انتحارا». وهو أحمد مدغري الذي كان وزيرا للداخلية في عهديّ ابن بلة وبومدين، وقد اشتهر أحمد مدغري بعداوته الشديد وحقده الدفين للغة العربية، التي هي «اللغة الوطنية الرسمية». كما تنص على ذلك «دساتيرهم» التي كتبوها بأيديهم وداسوها بأرجلهم، وفي أحسن أحوالهم يؤمنون ببعضها، ويكفرون ببعضها، ومن الأمور التي «يكفرون» بها «أمّ المواد» التي تنص على أن «الإسلام هو دين الدولة». وأن «اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية». ولكنهم يتحاكمون في شؤونهم إلى «الطاغوت». ويرفعون خسيستهم بمخاطبة الشعب الجزائري بلغة عدوه الفرنسي فيما لا ضرورة فيه.

لقد أطلق أولئك الذين أحيوا تلك الذكرى، اسمه (مدغري) على «المدرسة الوطنية للإدارة». ووصفوه بأنه «مؤسس الإدارة الجزائرية». ولو أنصفوا لقالوا إنه «مؤسس الإدارة الفرنسية» في عهد «الاحتلال». وذلك لأن هذه المدرسة كانت «قلعة» من قلاع الفرانكوفونية في الجزائر.

لقد كنت أود لو أطلق على هذه المدرسة اسم أحد كبار علمائنا، بل علماء الأمة الإسلامية، إنه العالم الجليل أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي التلمساني المولود في تلمسان في سنة 710 هـ (1310م)، والمتوفى في مدينة فاس في سنة 789 هـ (1387م).

لقد اشتهر علي بن محمد الخزاعي التلمساني بكتابه الخالد الذي سماه «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ من الحِرَف والصنائع والعمالات الشرعية». وقد وصفه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي بـ «الكتاب العجيب الذي انفرد به بين علماء الإسلام، وهو _ لعمري _ كتاب نفيس فريد في بابه مستوعب لموضوعه، لم يترك فيه خطة أو وظيفة أو رتبة أو صناعة أو حرفة أو أي عمل من أعمال المجتمع الإسلامي في ميدان المصالح الإدارية _ عسكرية كانت أو مدنية، شرعية أوعلمية _ إلا أثبت أصلها في الإسلام، ودليلها من السنة وعمل الخلفاء الراشدين. فكانالخزاعي بذلك من أسبق العلماء إلى تدوين تاريخ المدنيّة الإسلامية وتفصيل الحياة الاجتماعية والسياسية والإقتصادية في صدر الإسلام، فجاء عمله هذا مفخرة من مفاخر الجزائر التي يحق لها أن تباهي به وتتطاول». (تاريخ الجزائر العام 2/191. ط. دارالأمة).

إن سبب تأليف الخزاعي كتابه القيم هذا هو الرد الشرعي _ العلمي على أولئك «المتفيقهين» الذين حرّموا هذا النوع من التنظيمات، وزعموا أن لا أصل لها في الإسلام، وأنها «بدعة». هي وصاحبها في النار، فأثبت الإمام الخزاعي لهم قلة علمهم، وسوء فهمهم، وضحالة فكرهم.

لقد ظل هذا الكتاب القيم مجهولا حتى عثر على نسخة مخطوطة منه في تونس الشيخ عبدالحي الكتاني، فاستند عليه في كتابه «التراتيب الإدارية..»

وأخيرا حققه على عدة مخطوطات المرحوم الدكتور إحسان عباس، ونشره صديق الجزائر الحبيب اللمسي _ رحم الله المتوفّى، وأطال الله عمر الحي وشفاه.

قد يعترض معترض على اقتراحي إطلاق اسم «الخزاعي» على مدرسة الإدارة بدل «مدغري» فأقول: إن مدغري عندنا منه الآلاف، أما «الخزاعي» فهو الحائز بالسبق تفضيلا، مستوجب ثناءنا الجميلا».

المسلمـــــون إلى أيـــــن؟

أ. محمد مكركب

هذا المقال يتناول معالجة قضية الدعوة الإسلامية، ومصير الشعوب الإسلامية المتعثرة في حفر الانحراف السياسي، بين فتن الحروب الأهلية، وتكالب الكفار من الخارج، وبيان أسباب الانتكاسات والانهزامات التي أصابت المسلمين في عمق الصحوة، وأوقفت المسيرة الحضارية الإسلامية، وبيان الطرائق والوسائل والآليات التي يجب استخدامها للنهضة الدعوية من جديد، وضمان السير الآمن الصحيح نحو المستقبل...فالمسلمون إلى أين؟ إنها إشكالية معقدة..

وليعلم القارئ أنّ كلّ هذه الاهتمامات لا يستوعبها كتاب واحد، أو ملتقى، أو ندوة.. فالموضوع يحتاج إلى اجتهاد كل المجتهدين المتواجدين في هذا العصر، عبر الساحة الإسلامية العالمية، من خلال المؤسسات الدعوية مجتمعة، أقول مجتمعة، ويكفي المسلمين ما أصابهم من الضعف والتخلف والانهزام بسبب تفرقهم واجتهاداتهم الفردية... ومن المؤسسات الدعوية في الجزائر مؤسسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين...

ومن شروط إخراج هذا الموضوع من حيز الأفكار والنظريات، والآراء والبيانات إلى ميدان التطبيق والإنجاز أن يجتمع علماء كل شعب على الأقل، ثم تناقش القضية ويتفقون على طريقة التطبيق... وأن يتبنى السياسيون والإعلاميون الفكرة..وأن يتم نشر الوعي في أوساط العامة لاستيعاب الفكرة بالتأصيل ووسائل الإقناع... لأن مشاركة العامة شرط في نجاح المشروع الدعوي النبوي لبناء مستقبل الأمة..

ما هي العوائق والمعوقات التي عرقلت الدعوة في طريقها؟ سؤال طرح منذ أمد بعيد، ولكن الإلحاح عليه قد اشتد هذه الأيام.. لماذا أوقفت الصحوة، وعُرقلت، ومنعت عن مواصلة نهضتها وتقدمها؟ هكذا يسأل المسلم بلسان الحال ولسان المقال، من وراء الكثير من الملابسات، مع كثافة ضباب الإرجاف والإشاعات...

فكان من الواجب علينا أن نقدم هذا البحث الوجيز لبيان بعض الحلول وطرائق العلاج في هذا الشأن المتعلق بمصير الأمة ومستقبلها، والحضارة الإنسانية وكبريات أصولها..بعد أن نبين بعض الأسباب...

فتدبروا هذه الأسئلة من جديد: لماذا اضطرب كثير من الدعاة في بداية القرن الخامس عشر، واختلفوا؟ ولماذا فترت الصحوة الإسلامية؟ واختلط الأمر على العامة والخاصة؟ ولماذا انتفضت كثير من الشعوب ونفضت يديها من حكامها؟بل ومن كثير من دعاتها؟ ولماذا تطاول اليهود من جديد على المسلمين؟ والسؤال: فالمسلمون اليوم والحال هذه، إلى أين؟

تمر البشرية منذ تكوين المجتمع البشري بأحداث عظام في حياتها، إذ يرتقي الناس في زمن إلى قمة الحضارة وينعمون ببركات الله تعالى، ويعيشون الأمن النفسي، والأمن الغذائي، والأمن الدفاعي.. وذلك عندما يحسنون التعامل مع السنن الكونية، والسنن الشرعية، وحينها يذوقون شيئا من الازدهار، والاستقرار.. فإذا غيروا ما بأنفسهم غير الله بهم، فأذاقهم لباس الجوع والخوف، بسبب ظلمهم وانحرافهم، أو بسبب عجزهم وتهاونهم..

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (سورة النور: 55)

وهذا من سنن الله في خلقه أن يبلوهم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وقد تكون هذه الابتلاءات عامة.. ولا يثبت أمام هذه المحن إلا من فقه واستبصر، وتعلم واعتبر...

فالحياة فتن وابتلاءات ومشاكل ونزاعات، لذلك أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام ليعلموا الناس كيف يتعاملون مع الابتلاءات، فإذا آمنوا واتقوا سعدوا وأسعدوا، وإذا كفروا وفسقوا فسدوا وأفسدوا ...

ويقص الله تعالى علينا كيف بدأت المشاكل والنزاعات على هذه الأرض، وكيف أنزل إلينا المنهاج الذي نحتكم إليه ونعالج به كل قضايانا، ونحل به جميع مشاكلنا، قال الله تعالى:

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (سورة البقرة:213)

إن ما وقع في العقود الأربعة الأولى من القرن الخامس عشر الهجري في لبنان، وفلسطين، والجزائر، والعراق، وتونس، واليمن، وليبيا، ومصر، وسوريا من التقلبات الخطيرة، والفتن المظلمة الكبيرة..كان ذلك بسبب ضعف وجهل في الآلة السياسية، وقد ظهر ذلك في الاستبداد، والتسلط، وتهميش العلماء، وتطاول بطانة السوء في الحكم.....

كما كان الخلل أيضا في تهاون الكثير من العلماء، ظهر ذلك في تفرقهم، وتضارب فتاواهم، وتباعدهم عن بعضهم....وما زاد للطين بلةً ظهور الحزبية المقيتة، فبعد أن تفرق المسلمون إلى دويلات وشعوب، ازدادوا تفرقا، فانقسموا إلى أحزاب، وانقسمت الأحزاب إلى أحزاب!! وانقسمت الجمعيات إلى جمعيات !؟

وصار كل واحد من المتحزبين يسعى لإعلاء كلمة حزبه، وكثرة أتباعه، وهدفه أن يفوز بمناصب البرلمان بأي ثمن كان.....

فما هي أسباب الانهزامات؟ جاء في قاموس الحكم: إذا عرف السبب بطل العجب.

نذكر بعض الأسباب ليس على أساس الترتيب، ولا على أساس الحصر، فقد تكون الأسباب أكثر من هذه..

1 ـ غياب المرجعية الدينية، بسبب استبداد السياسيين، وتهميشهم للعلماء، وتفرق العلماء أنفسهم، وابتعادهم عن نظام الشورى العلمية..

2 ـ بروز الفكر العلماني وتبنيه من قبل السياسيين، وأساء الناس فهم المشيئة والإرادة والاختيار في مجال الاختبار..فخلطوا بين إرادة التدين أو مشيئة الاستقامة، وبين حرية التدين..

3 ـ الصدمات التي أصيبت بها الأمة بسبب الانتكاسات، منها: سقوط الخلافة، احتلال فلسطين من قبل اليهود الغاصبين، تهميش أو محاربة لغة القرآن في كل من تركيا وإيران، وانهزام المشرق العربي أمام الأجلزة، وانهزام المغرب العربي أمام الفرنسة.....

هي صدمات وضربات متوالية..وسقوط بعض البلدان العربية في فخ التطبيع مع اليهود ...

4 ـ ظاهرة الحرابة التي نبتت في كثير من البلدان الإسلامية، وظاهرة الحرابة فرع فكري من ظاهرة التمرد السياسي...

5 ـ انقسام الحركات الإسلامية، وإقبالها على العمل السياسي الساذج غير المدروس وإهمال الجانب الدعوي العقدي والأخلاقي، فكان تخلي الدعاة عن الحلقات التربوية ومجالس الدعوة، سببا كبيرا من أسباب فتور الصحوة وانهزام المسيرة الحضارية...

6 ـ الإعلام المنحرف، الذي خدم العولمة الاستبدادية الاحتكارية، وخذل العولمة الإسلامية، عولمة الرحمة والأمن والقيم الإنسانية.

7 ـ إهمال الشباب وانحرافهم، بسبب فساد المنظومات التربوية والاجتماعية، فبرزت ظاهرة التطرف من قبل شباب متنطعين قادهم إلى ذلك متطفلون على الدعوة،فكانوا فتنة أصيبت بها الأمة،والسبب في انحراف الشباب ـ نحو التنطع ثم التطرف ثم الهجرة والتكفير ثم الحرابة و(الإرهاب) ـ هو تقصير العلماء، والحكام، وهذه الظاهرة (ظاهرة التشدد والتنطع والإرهاب) هي سبب فتور وتعثر الدعوة، وهي أيضا نتيجة من نتائجها..

8 ـ الحروب النفسية التي يديرها أعداء الإنسانية،لقد علم الكافرون أن قوة المسلمين في أخوتهم وتحادهم وتعاونهم، فاجتهدوا على أن يفرقوا شمل المسلمين، وفعلوا ذلك بدءا بإسقاط الخلافة، وتقسيم الأمة الإسلامية إلى شعوب ودويلات ضعيفة لاحول لها ولا قوة..ونشط أعداء الإنسانية في زرع تلك المادة السامة الخطيرة في نفوس المنهزمين الجاهلين، وهي مادة (التعصب والعنصرية) بطريقة ذكية ماكرة، وبخدعة شيطانية غادرة، فكانت الحيلة فاقرة..فلعبوا على حبل المذاهب، واللغات، والعرقيات، والجهويات..وقبل أن يستفيق الساذجون من غفوتهم ويتفطنوا إلى مكر الأعداء، زادوهم تمزيقا على تمزيق بفكرة الحزبية، بشبهة ملؤها مغالطة كبيرة هي قولهم لهم: أن انقسام الشعوب إلى أحزاب وتكتلات فكرية وجهوية ومذهبية، وإقامة المنافسات السياسية الانتخابية أن ذلك من صميم الديمقراطية، هكذا قالوا لهم فانبعوهم، فأرهقوهم!!

9 ـ استمرار الانحراف السياسي المتمثل في عزم الحكام على تكريس الرداءة السياسية والإدارية...

10 ـ الاستشراق القديم والجديد، أو قل الدسائس التي يقوم بها الكتاب الغربيون من القسيسين والرهبان والسياسيين وكتابهم في محاربة الإسلام عن طريق تشكيك المسلمين في القرآن والسنة، ونشر الشبهات ضد الإسلام عن طريق ما يعرف مغالطة وتمويها بـ: الدراسات الاستشراقية العلمية الموضوعية عن الدين، والتاريخ، والثقافة، والشريعة، والفقه الإسلامي، وأنظمة الحكم في الإسلام، وغير ذلك... وسيأتي العلاج إن شاء الله تعالى في المقال اللاحق...

تعالـــــم

حمزة سعيـــدي

الأصل في خلقة ابن آدم الجهل وما ولد أحد من الناس عالما قط (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل:78) فكل بني آدم متساوون في هذا الجهل الذي ولدوا عليه جميعا، ولا علم لأي منهم إلا ما علمه الله جل وعلا وقدر له معرفته، وإنما يكون تحصيل المعارف والعلوم عبر مراحل يكمل بعضها البعض الآخر كالبنيان لبنة لبنة حتى يستقيم ويستوي على أكمل صورة، ولكي يصل الإنسان إلى علم دقيق وفهم مضبوط ومعرفة محكمة وتشييد متماسك وقوي من المعرفة والعلم الصحيح لابد من المرور على هذا التدرج. بيد أن «البغاة بأرضنا يستنسر» حين يحاول بعض منا عبثا قلب السنن الكونية التي تحكم الناس في حياتهم، فيرى الجلوس على القمة أمرا هينا بسيطا وإنما يتوقف فقط على الادعاء والكذب على النفس أولا ثم الانتكاس على الفطرة السليمة، ليتصدر مجالسنا من ادعى العلم وتظاهر به وليس من العلم فيما عنده من بضاعة كاسدة غير الاسم، فصار بنا الحال إلى ما نحن عليه في زمن العلم والتقدم الحضاري الرافي.

فالتعليم بالمعنى الحقيقي الذي ينال بجهد التحصيل ومشقة البحث صار شيئا هامشيا في حياتنا، ومن الزوائد التي يمكن للإنسان التخلي عنها وعن جميع أسبابه، لكننا عرفنا ما يؤدي العلم بصاحبه من تقدم وتصدر ووجاهة، فكان سعينا مقتصرا فقط على بلوغ الصدارة وتحقيق البروز أمام الناس في المجامع العامة والتلاعب بعقولهم والكذب على الله، فجوزينا بذلك هشاشة فكرية وزيدا ثقافيا وتربيا في ذيل الأمم، وتفشت فينا جميع أنواع الشرور جراء هذا الصنيع الشنيع والله جل وعلا قد حذرنا من أن يحدث الإنسان من غير علم (وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) لأن هذا الأمر هو أصل الشرور كلها، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتكلم كل الناس وأن يدبر شؤون الأمة في دينها ودنياها من حدثته نفسه بذلك، فمن لم يضبط وسائل العلم في المجال الذي اقتحمه لا مجال أمامه للتقدم والبروز والتصدر، وقبل ذلك استحضار الرقابة الإلهية، ولنعلم أنه إذا كثر فينا هذا الوباء وانتشر فإنا غارقون في حمأة الطين والركود الحضاري لا محالة وكما قيل: «إذا كثر الملاحون غرقت السفينة» وما أكثر الرؤوس عندنا في السياسة والتربية والاقتصاد والإعلام والتكنولوجيا وغيرها...من ليس أهلا لأن يكون في ذلكم المنصب والمركز، والتعالم والادعاء في حقيقة الأمر ووافعه لا يأتي إلا بما هو شر وسوء، وما حال الأمة العربية اليوم إلا تعبير صريح لنتيجة القول بلا علم والاقتحام بلا زاد، فكل الدماء التي سالت والأعراض التي انتهكت، والمتشحات التي خربت بجهل الجهلاء ممن أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، وكان من نعم الله أن فضحهم وهتك أستارهم، وكشف جهلهم وبعدهم عن العلم وأهله، وكما قال قتادة: من حدث قبل حينه افتضح في حينه، فأفتى هؤلاء بجهلهم لتكون نتيجة ذلك خراب لبلاد الإسلام ومحاولة لبذل دعم للآخر الذي يسوسهم ويقودهم لخدمته.

وعن بلادنا فلا تسل، كثير من العلماء والمشايخ - وما هم بالعلماء والمشايخ - يبرزون كل يوم بشطحات من اللوث الفكري، والتشتت العقدي المضطرب، والإيمان بالله المهزوز، فلا هَمَّ لهم - أصلحهم الله - إلا التشويش والتحريش، والتجريح والتفسيق، يسعون فقط إلى تفرقة الناس على الملل والنحل والطوائف، وفئة أخرى أحلت ما حرم الله وحرمت ما أحل الله وكل هذا الخلط والخبط لا يأتي إلا من فراغ استغلته بعض الفئات الخبيثة اندست بيننا لتفرقنا وتنخر جسدنا فلا اتحاد ولا دين متماسك يحمي هذا الاتحاد والتعاضد، وإن أكثر ما يعانيه أبناؤنا هو عدم معرفة حقيقة هؤلاء المتعالمين المتفيقهين، الداعين إلى الهتك والفتك وترسيخ ثقافة الفرق والاجتراء والافتراء على الواحد القهار، وليتهم تفطنوا لوجوب تعلم أصول الدين والبحث في حقائقه ومكنوناته التي تعلمها أعداؤنا فحورينا بها لتكون الهزيمة كارثية.

أين هؤلاء العلماء ليفكوا فيودنا ويحرروا عقولنا؟ أين الوطنية التي دعا إليها الإسلام ليورونها؟ أين وعي الضمير الإنساني وقوة وسحر الدين الإسلامي؟

فحين ترى حال الدول المتقدمة حضاريا - على كفرها وإلحادها - تتيقن من كرامة العقل الربانية، فما بالك بنا نحن أمة الإسلام؟ كل أمورهم مضبوطة وفق المصلحة العامة التي هي من أصول ديننا، لكن للأسف استوعبوا هم ذلك وبلغوا به مبلغهم، ونكاد لا نبرح مكاننا إلا في حال الرجوع إلى الخلف والتمرغ في أكناف الجاهلية الأولى، ألا وإن نعمة العلم الصحيح الرباني لا تثمر إلا سعادة العباد وفلاحهم، وعيشهم الهنيء وتحقيق مراد الله عز وجل في بعدهم عن الدجالين والكذابين والمتعالمين الذين تكفل الله بفضحهم وكشف عوراتهم في جميع المجالات وشتى المستويات.

ابن باديس الإمام الملهم

د. محمد مراح

الإمام الفذ والشيخ الملهم، والبصيرة المتوقدة، خالد الذكر إن شاء الله تعالى عبد الحميد بن باديس: فآه ثم آه على ابن باديس، يعلم عالم السر وأخفى أن رعشة تهز قلبي، ونورا وضاء يسري في وجداني في كثير من الأحيان لذكره، فتثرى معاني درره، وتتلألأ خرزمعانيها في جوانحي، حتى لكأن الهاتف بها من الغيب المقدس، أليست هي هي الهيمنة التي سرت في جسم حنطه المستعمر الفرنسي؟ أليست هي هي الصيحات الواثقات التي تعلعت في سماء اكلولحت بسديم الغشوم الظلوم؟ أليست هي هي التي ترددت أصداء في مدى مليوني كلم مربع: الفد عشت سوادي للإسلام والعربية، وإني لأرجو أن أعيش بياضي لهما !؟

طلب الرحمة يكون في معتاد الناس لمن أسدى جميلا أو أتى خيرا، فما الذي نطلبه لك يا إمام النور والنهوض، والسماحة، والقوة، والحكمة، والذكاء، والعبقرية؟ أصدقكم القول: طلب الرضوان عليه من رب عد من أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا، فكيف بمن أحيا شعبا على هدى نور كتاب النور والبيان : فاللهم ارض عن الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، وأدخله فردوسك الأعلى، وأفسح له مجلسا مع الأنبياء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

سيدي الباديسي المولد به: ابن باديس مصلح فطري عظيم، من مصاف المصلحين العظام الذين حفظهم سجل الإنسانية النير بجلائل إنجازاتهم الإصلاحية: مصلح فطري امتزجت فيه الفطرة السليمة النقية، والسماحة الإنسانية الباهرة، والعبقرية العلمية الإسلامية الفذة، والحنكة والحكمة الباهرتين، والعطاء البادخ الباهر، والصلابة الصلدة، والنورانية المشعة الكاسحة لأثر الظلمة.

سيدي الباديسي المستهام بحبه: تراث ابن باديس الفكري تراث عالمي لو أدركنا نحن الجزائريين عمقه، وقوته، وأسباب خلوده على الزمن.

سيدي الباديسي المستهام بعشقه: تراث ابن باديس حقيق بأن يحفظ بتسخير أرقى ما توصلت إليه تكنولوجيا الحفظ، والإتاحة للمستنيرين، والطامحين، للمستشعين بأشعته الفياضة، فهلا استُنهضت همم أحفاد ابن باديس، فحفظوا ذاك الإرث الباديسي الفريد البادخ، فرفعوه على موقعه على الإنترنت بأجود حفظ، وأبهج صورة يمكن أن يحظى بها إرث ثقافي إصلاحي فكري.

فيا للسعادة والابتهاج يوم تعلن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منادية: يا أحفاد الحبيب ابن باديس الأشاوس هلموا، واقدحوا عبقريتكم الابتكارية للمشروع الباديسي العظيم: مشروع النور الباديسي على (الأنترنات) .

الله أمين يا ملهم ابن باديس، اللهم أحفاده عبقرية الاحتفاء والتخليد لذكره وإرثه.

اخبار إقتصادية

هبوط أسعار النفط قد يدفع الكويت للاقتراض من الاحتياطي العام

صرح وزير المالية الكويتي بأن الكويت قد تلجأ للاقتراض من الاحتياطي لتمويل مشروعات التنمية بسبب وأوضح أنس الصالح أن سعر 60 دولارًا لبرميل النفط يعني عجزًا مؤكدًا لميزانية الكويت العام المقبل.

وقال الصالح في تصريحات للصحافيين على هامش افتتاح ملتقى الكويت للمشروعات الصغيرة: «من المؤكد أنه إذا كان اسعر برميل النفط) 60 دولارًا سنواجه عجزًا في الميزانية».

لكنه أضاف: «هذا لن نتركه ينعكس سلبًا على قدرتنا في تنفيذ المشاريع. نفاضل وندرس حاليًا بين آليات تمويل هذه المشاريع. إما الاقتراض من الاحتياطي العام أو الذهاب للسوق التجاري».

وهبطت أسعار خام القياس العالمي مزيج برنت إلى أدنى مستوياتها في خمس سنوات ونصف السنة في أسواق آسيا اليوم.

بعدما خفضت وكالة الطاقة الدولية توقعاتها لكنها تحسنت قليلًا بعد ذلك أملًا في تحسن بيانات الصناعات التحويلية.

وكان رئيس لجنة الميزانيات بالبرلمان الكويتي عدنان عبد الصمد قال أمس الأحد في بيان: إنه في ضوء التقديرات التي قدمتها الحكومة فإن ميزانية البلاد ستسجل عجزًا قدره 2.8 مليار دينار (9.6 مليار دولار) في السنة المالية المقبلة 2016-2015 وذلك قبل استقطاع احتياطي الأجيال القادمة.

وكالات

النفط يعاود الهبوط مع تمسك أوبك بعدم خفض الإنتاج

تعرضت أسعار النفط الخام لضغوط جديدة وهوى خام القياس العالمي نفط برنت لأدنى مستوياته في خمس سنوات قرب 61 دولارا للبرميل بعدما أكدت منظمة أوبك تصميمها على عدم خفض الإنتاج رغم تخمة المعروض العالمي.

وعاود برنت والنفط الأمريكي هبوطهما بعد خسائر الأسبوع الماضي التي شهدت تراجع الأسعار العالمية أكثر من 10 في المائة.

وارتفعت الأسعار في التعاملات الصباحية في نيويورك بعد أنباء عن إغلاق ميناءين نفطيين كبيرين في ليبيا بسبب الاشتباكات.

غير أن النفط فقد في وقت لاحق مكاسبه وعاد برنت للتراجع وهبط النفط الأمريكي قرابة دولارين في البرميل بحلول الظهر في نيويورك.

وعزا بعض المتعاملين الهبوط إلى الحذر قبل اجتماع البنك المركزي الأمريكي بينما أرجع آخرون الهبوط إلى تأكيد أوبك أنها لن تجري تخفيضات للإنتاج.

وهبط سعر العقود الأجلة لخام برنت لتسليم يناير عند التسوية 79 سنتا أو 1.28 في المائة إلى 61.06 دولارا للبرميل.

وكان قد ارتفع في وقت سابق من التعاملات ما يصل إلى 1.40 دولارا إلى 63.25 دولارا بعد أن هوى إلى 60.28 دولارا أدنى مستوى له منذ يوليو 2009.

ونزل سعر عقود النفط الخام الأمريكي لتسليم يناير عند التسوية 1.90 دولارا أو 3.29 في المائة إلى 55.91 دولارا للبرميل بعدما هبط في وقت سابق من الجلسة إلى 55.87 دولارا أدنى مستوياته منذ مايو عام 2009.

وكالات

البورصة المصرية تخسر 21 مليار جنيه.. في رابع أكبر انهياراتها

تراجع أداء البورصة المصرية بشكل حاد بنهاية تعاملاتها، أمس الأحد - أولى جلسات الأسبوع - وهوت مؤشراتها للمنطقة الحمراء بدعم من الضغوط البيعية وعمليات جني الأرباح، من قبل المستثمرين العرب والأجانب، فيما اتجهت تعاملات المستثمرين المصريين نحو الشراء، وتراجع رأس المال السوقي بنحو 21.32 مليار جنيه. وهوت مؤشرات البورصة الثلاثة إلى أدنى مستوياتها منذ سنوات.

وأرجع محللون ماليون وخبراء في السوق هذا التراجع الحاد إلى تأثر البورصة المصرية بما وصفوه بموجات الهبوط العنيفة التي سجلتها أسواق المال العالمية بوجه عام والخليجية على وجه التحديد، على خلفية الخسائر الحادة التي سجلتها أسعار النفط ليقبع دون حاجز الـ 60 دولار لأول مرة منذ 5 سنوات. وخسر رأس المال السوقي لأسهم الشركات المقيدة ببورصة مصر اليوم نحو 21،3 مليار جنيه ليصل إلى 486،6 مليار جنيه.

وتمثل خسارة الأمس رابع أكبر خسارة يومية في تاريخ البورصة المصرية، والأكبر في عامين، حيث كانت الخسارة الأكبر في السابع والعشرين من يناير 2011 عقب اندلاع ثورة 25 يناير وفقدت حينها البورصة المصرية نحو 40 مليار جنيه، فيما كانت ثاني أكبر خسارة يومية في الثالث والعشرين من مارس من نفس العام وعقب العودة من فترة تعليق البورصة لمدة 55 يومًا وفقدت السوق وقتها 29،5 مليار جنيه، وكانت ثالث أكبر خسارة في تاريخ البورصة في 25 نوفمبر 2012 وفقدت البورصة حينها 29،4 مليار جنيه.

وكالات

اخبار إقتصادية

اخبار إقتصادية

اخبار إقتصادية

اخبار إقتصادية

رؤيـــة

سياسة التخويف من المستقبل الاقتصادي

د. فارس مسدور

نقرأ ونسمع ونشاهد في كل يوم تقارير صحفية إخبارية تنذر بالخطر الداهم والأزمة الخانقة التي ستعصف بالاقتصاد الوطني خاصة والاقتصاد العالمي عامة وهذا نتيجة الانهيار الخطير في أسعار البترول في الأسواق العالمية.

والسؤال الذي يجب علينا أن نطرحه: هل حقا هذه الأزمة خطيرة جدا على الاقتصاد الوطني؟ وهل من حلول لمواجهتها؟ وكيف سيتعامل العالم معها؟

هذه الأسئلة التي نطرحها يفترض أننا أجبنا عن أغلبها في العديد من مقالاتنا في جريدة البصائر. غير أنه في بلادنا لا يسمع لأمثالنا إنما يسمع لمن يلوي لسانه بلغة فولتير ويدين بدينه ويقدم الولاء التام لأمته.

ما حدث ويحدث دائما هو أن القائمون على اقتصاد هذا البلد لم يفهموا بعد أن هنالك أكثر من ضرورة لتنويع الصادرات خارج قطاع المحروقات. وأنه لا يمكن لاقتصاد كاقتصاد الجزائر أن يمتص الأزمات العالمية إلا إذا كانت لديه الإمكانية والعزيمة القوية لإنتاج أغلب ما يحتاج من ضروريات. بدءا من القمح والحليب ووصولا إلى قطع الغيار والدواء. وهذا لتجنب الضغوطات الدولية المستفزة والرامية إلى جعلنا تحت أقدامها باستعبادنا بمنتجاتها التي تسوقها لنا.

منذ أكثر من خمسين سنة والخبراء يتحدثون عن ضرورة تنويع صادراتنا فهل فعلنا ذلك؟ الجواب أننا لم نفعل شيئا لحماية اقتصادنا من الأزمات العالمية التي يمكن أن تجعلنا بين عشية وضحاها فقراء بل من أفقر بلدان العالم. ولنقرأ تاريخنا الاقتصادي وما حصل لنا في الثمانينيات والتسعينيات وكيف تحولنا إلى بلد يخضع لشروط صندوق النقد الدولي المشئوم الذي كان سببا في أزمتنا الأمنية إلى حد كبير.

لذا سياسة التخويف من المستقبل كان يفترض أن تتحول إلى قوة اقتصادية ومحاولة بناء اقتصاد جديد بعيدا عن المحروقات التي يجب أن تخرج من السيطرة المحورية على اقتصادنا ليكون لها الدور الهامشي فيه.

وعليه نرى أن كلا من القطاع الفلاحي والقطاع السياحي والخدمات قد يكون لهم الدور المحوري في الاقتصاد الجديد لتكون الجدوى الاقتصادية هي المعيار الوحيد الذي نرتكز عليها ونحن نؤسس لخياراتنا المختلفة. فهل منكم رجل رشيد يأخذ بالرأي السديد لبناء اقتصاد جديد.

معالجات إسلامية

وقفة تأمُّل في نهاية العام

د. يوسف جمعة سلامة*

نعيش في هذه الأيام نهاية عام ميلادي، ونستعد لاستقبال عام ميلادي جديد، وهكذا تمر الشهور بعد الشهور وتنقضي الأعوام، فعلينا أن نأخذ العبرة من مرور الأيام والشهور والأعوام، فالحياة مهما طالت قصيرة، وهي محدودة بين نطفة وجيفة، ورحلة الحياة تختصرها ثلاث آيات في القرآن الكريم: {مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}(1). وجاء في كتاب صفوة التفاسير للصابوني في تفسير الآيات السابقة: {{مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} أي من ماء مهين حقير بدأ خلقه، فقدّره في بطن أمه أطواراً من نطفة ثم من علقة إلى أن تمّ خلقه، قال ابن كثير: قدّر رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أو سعيد.

{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}أي ثم سهّل له طريق الخروج من بطن أمه، قال الحسن البصري: كيف يتكبّر من خرج من سبيل البول مرتين؟ يعني الذكر والفرج. {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}أي ثم أماته وجعل له قبراً يُوارى فيه إكراماً له، ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور، قال الخازن: وهذه تكرمة لبني آدم على سائر الحيوانات}(2).

وما أحوجنا في مستهل كل عام، وحين تطوي عجلة الزمن عاما كاملاً من حياتنا، تقتطعه من أعمارنا، وتقرّب به آجالنا، أن نقف قليلاً مع أنفسنا على مفترق الطرق، لنحاسب أنفسنا على الماضي، ولنستعرض أمام ناظِرَيْنَا ما قدمناه، فنستدرك ما فات ونتوب من العثرات، ونحمد الله عز وجل على ما وفقنا إليه من صالح الأعمال، ثم نعقد العزم على أن نواجه العام الجديد، بقلوب مؤمنة ونيات صادقة، ورغبة أكيدة في فعل الخير والطاعات، واتباع الحق، والحرص على طاعة الله سبحانه وتعالى وتقواه، والبعد عن الشر والمعاصي واجتناب الباطل، فبارك الله فيمن طال عمره وحَسُنَ عمله، كما جاء في الحديث: {أَنَّ رَجُلا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ}(3)، ورحم الله القائل:

دَقَاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لـه
إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثـوانِ
فَارْفع لِنَفسكَ بعدَ مَوْتِكَ ذِكرَهَا
فَالذِّكرُ للإنسانِ عُمْـرٌ ثانِ

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبُوا

إننا في هذه الوقفة ونحن نودّع عاماً ونستقبل عاماً جديداً، نتذكر قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-: {حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ}(4). فجميل أن يحاسب الواحد فينا نفسه قبل أن يُحاسَب، كما في قوله سبحانه وتعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}(5)، وقوله عزّ وجل : {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}(6). فمن المعلوم أننا سَنُسْأَلُ يوم القيامة عن كل شيء، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: {لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ}(7).

ونحن في هذه الأيام نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء أن يجعل هذا العام خيراً من سلفه، وأن يجعل خلفه خيراً منه، فما من يوم يبزغ فجره ويسطع ضوؤه، إلا وينادينا يا ابن آدم، أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنم مني بعمل الصالحات فإني لا أعود إلى يوم القيامة، وما من ليل يُرخي سدوله وينشر سكونه، إلا وينادينا يا ابن آدم، أنا ليل جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني بطاعة الرحمن وطلب الغفران، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

اغتنم خمسا قبل خمس

إن عمر الإنسان قصير، وإن حياته أثمن من أن تضيع فيما لا ينفع، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: {أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ}(8). وقد ذكرت كتب السيرة أنه لما حضرت الوفاة نوحاً - عليه الصلاة والسلام-، قيل له: يا نوح كم عشتَ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام-: ألف سنة، قالوا: كيف وجدتَ الحياة؟ قال: والذي نفسي بيده ما وجدتُ الحياة إلا كبيت له بابان، دخلتُ من أحدهما وخرجتُ من الآخر!! فيا أبناء الستين والسبعين ماذا تنتظرون؟ إنكم لن تعمّروا كما عَمّر نوح - عليه الصلاة والسلام-، ولا قريبا من ذلك، لذلك يجب علينا أن نُعَمّرَ أوقات حياتنا بالباقيات الصالحات من الأقوال والأفعال، فتعاقب الزمن يفرض علينا الحرص على الوقت وأن يأخذ الإنسان من دنياه لآخرته، ومن حياته قبل موته، فظروف المستقبل ليست ملكا لأحد، وأمرها إلى الله تعالى، لذا ينبغي اغتنام الفرصة التي بين أيدينا، لقول رسولنا - صلى الله عليه وسلم-: {اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ} (9).

خير الخطائين التوابون

إن الإنسان في معترك الحياة عرضة للخطأ والزلل، إذ العصمة ليست إلا للأنبياء، فإذا وجدتَ نفسك طائعاً لله عز وجل، مستجيباً لأوامره، مجتنباً لنواهيه، فاحمد الله على توفيقه لك {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}(10). وإذا وجدتَ نفسك مقصّراً، وقد أبعدك الشيطان عن طريق الحق، فارجع إلى طريق الحق والطاعة والعبادة، واعلم أن الله قد جعل لك من المعاصي فرجاً ومخرجاً، وذلك بالإسراع إلى التوبة والندم على ما فَرّطتَ في جنب الله، لقوله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (11). وقوله -سبحانه وتعالى- أيضا:{إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}(12)، ولقوله -صلى الله عليه وسلم-: {كل ابن آدم خطاء، وخيرُ الخطائينَ التوابون}(13).

ليس بين العصاة وبين رحمة الله أن تصل إليهم إلا أن يستجيبوا لنداء الرحمن الرحيم، حيث يقول تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(14). وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه الإحياء أن أحد الصالحين رأى رجلاً لا ينقطع عن المعاصي، وقد غمره الله بنعيم ظاهر، وقد تعجب الناس من أمره، فقال لهم الرجل الصالح: {لا تعجبوا من أمره، ربّ كريم وعبدٌ لئيم!}، فسمع الرجل العاصي هذا الكلام، فتأثر وبكى، وطلب من الرجل الصالح أن يدعو له بقبول توبته وغفران ذنبه، فقال له: يا هذا أين أنتَ من فضل الله تعالى في قوله: {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}(15).

إن الدنيا مزرعة الآخرة، ونحن لم نُخلق إلا للعمل الصالح والعبادة الخفة، كما قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ} (16)، لذلك فقد اغتنم رسولنا - صلى الله عليه وسلم - كل لحظة من حياته في طاعة الله، وعلّم أصحابه -رضي الله عنهم أجمعين- ذلك، فما مضى قرن من الزمان حتى رأينا دولاً عديدة ومساحات شاسعة من قارات العالم قد سطع عليها نور الإسلام، ودخل أهلها في دين الله أفواجا بفضل الله أولاً، ثم بجهدهم وعملهم وإخلاصهم.

وأقول في الختام: ونحن نقف على أبواب عام جديد، لنتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يجمع شملنا ويوحد كلمتنا ويؤلف بين قلوبنا، إنه سميع قريب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

الهوامش:

-1 سورة عبس الآية (21-19).
-2 صفوة التفاسير للصابوني 3/520.
-3 أخرجه الترمذي.
-4 سورة الحاقة الآية(18).
-5 سورة الإسراء الآية (14-13).
-6 سورة الأنبياء الآية (47).
-7 أخرجه الطبراني.
-8 أخرجه الترمذي.
-9 أخرجه الحاكم.
-10 سورة الأعراف الآية (43).
-11 سورة آل عمران الآية (136-135).
-12 سورة الفرقان الآية (70).
-13أخرجه الترمذي وابن ماجه.
-14 سورة الزمر الآية (53).
-15سورة هود الآية (90).
-16 سورة الذاريات الآية (56).

* خطيب المسجد الأقصى المبارك
وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق
www.yousefsalama.com

ما قل ودل

كلمة عن «ميّ»

أ. محمد الصالح الصديق

زارتني طالبات جامعيات، فتحدثنا عن المرأة قبل الإسلام وفي الإسلام، وعن المرأة الجزائرية خلال ثورة التحرير، فوقفت بهن عند نماذج وعينات من المرأة العربية يثرن الإعجاب والاعتزاز، ويبعثن في النفس الطمأنينة على أن الأمة العربية الإسلامية دائمة التألق، ثابتة الخطى على الطريق القويم، ثم أبدت إحداهن إعجابها بالكاتبة القديرة الأنسة (مي) وبصالونها الأدبي المتميز الذي ظلت فيه طويلا واسطة عقد من الأدباء والشعراء والمفكرين، وأبدت رغبتها في معرفة شيء عن حياتها وآثارها وأعمالها.

فقلت لها: إن اسمها الحقيقي (مريم زيادة) وهي بنت (إلياس زيادة) الصحفي اللبناني الذي عاش أواخر عمره في مصر، وقد ولدت سنة 1895 وتلقت دراستها في مدارس الراهبات بلبنان وفلسطين، ثم هاجرت مع أهلها إلى مصر، وهناك تفرغت لدراسة الآداب واللغات الأجنبية، وسطع نجمها في سماء الأدب، تأليفا وترجمة وبحثا، وكانت تدير صالونا أدبيا يحضره أدباء وشعراء متميزون، وجمالها العربي الساحر، وأنوثتها القوية وجاذبيتها الأدبية، فتنت بعض الأدباء وفجرت طاقاتهم الشعرية والأدبية، وكانت ثمار ذلك أعمالا فكرية قيمة ستظل أوسمة على صدر الأدب العربي!

وقد أعرضت عن الزواج طوال حياتها، وألحت عليها أمراض آخر عمرها، وخاصة بعد موت والديها فماتت في شهر أكتوبر سنة 1941.

وهنا قالت إحدى الطالبات: هل تذكر لنا نموذجا من كلامها، فقدمت لهن هذه الكلمة التي وجهتها إلى الفتاة العربية بهذا العنوان: (يا فتاتي):

«الحياة أمامك أيتها (الفتاة) الصغيرة، ولك أن تكوني فيها ملكة أو عبدة، وملكة بالاجتهاد والترتيب وحفظ اللسان والصدق وطهارة القلب والجوارح والعمل الموصول، وعبدة بالكسل والتواكل والغضب والثرثرة والاغتياب والتطفل والتبذل!

فإذا عشت ملكة بأخلاقك، أفدت أهلك، ووطنك، وكنت محبوبة مباركة، وإذا عشت عبدة كنت حملا ثقيلا على ذويك فكرهوك ونبذوك فأيهما تختارين؟

إذا اخترت السيادة فروضي نفسك على المكارم منذ الساعة، لأن الملوك يسلكون طريق العز منذ الصغر وفي أيامهم الأولى (عن أزهار الأدب العربي تأليف عباس حسن ص136).

وإثر سماعهن هذه الكلمة قالت إحداهن: فبماذا تنصحنا أنت بعد هذه النصيحة؟

فقلت لهن: قد يبدو تطبيق هذه النصيحة صعبا، ولكن لاشيء يصعب على العزمة القوية والإرادة الماضية والقلب القوي النابض بالحياة، فعليكن بترويض أنفسكن على المعالي والمكارم، فسوف تتبوأن ذرى المجد والعلا، وإلى الأمام والله معكن ولن يتركن أعمالكن!

من أفواه الرجال

«مبدأ جمعية العلماء يرمي إلى غاية جليلة، فالمبدأ هو العلم، والغاية هي تحرير الشعب الجزائري، والتحرير في نظرها قسمان: تحرير العقول والأرواح وتحرير الأبدان والأوطان، والأول أصل للثاني، فإذا لم تتحرّر العقول والأرواح من الأوهام في الدين وفي الدنيا، كان تحرير الأبدان من العبودية والأوطان من الاحتلال متعذّرًا أو متعسّرًا.. حتى إذا تمّ منه شيء اليوم، ضاع غدًا، لأنه بناء على غير أساس، والمتوهّم ليس له أمل، فلا يرجى منه عمل».

الإمام محمد البشير الإبراهيمي

الاتجاهات الثقافية في المجتمع الجزائري المعاصر

أ.د مولود عويمر*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مخبر المجتمع الجزائري المعاصر ينظم:
الملتقى الوطني الأول: الاتجاهات الثقافية في المجتمع الجزائري
15-16 ديسمبر 2014 بقاعة المحاضرات 4000مقعد بيداغوجي

اختتمت مساء يوم الثلاثاء 16 ديسمبر 2014 م فعاليات الملتقى الوطني الأول حول «الاتجاهات الثقافية في المجتمع الجزائري المعاصر» الذي نظمه خلال يومين مخبر المجتمع الجزائري المعاصر بجامعة سطيف2

وقد شارك في أشغاله مجموعة من الأساتذة من جامعات سطيف وباتنة وقسنطينة والجلفة والوادي والجزائر2. وقد عالج هؤلاء المحاضرون الاتجاهات الثقافية التي سادت في المجتمع الجزائري المعاصر من حيث أصولها التاريخية. وتطورها عبر مراحل زمنية مختلفة. ودرسوا دورها في مسيرة بناء الهوية الوطنية في جميع أبعادها.

وقد جاء هذا الملتقى في ظرف مناسب وهي الوقفة التي التزم بها المثقفون وأهل القرار هذا العام للنظر في المسيرة التي قامت بها الجزائر منذ ستين سنة من انطلاق الثورة التحريرية والتأمل فيما حققته من تحرير البلاد. وتقييم انجازاتها وإخفاقاتها في معركة كبرى أخرى. وهي بناء الدولة الجزائرية وتنميتها في كل المجالات. وإذا كان هذا المخبر ركز في هذا الملتقى على الجوانب الاجتماعية والثقافية فذلك فقط من باب الانسجام مع تخصصه وأهدافه وبرنامجه العلمي.

مسارات وأفكار

قدمت عدة محاضرات تناولت مسارات مختارة من المثقفين الجزائريين وتجربتهم في مجال صناعة الأفكار والصراع الفكري. وفي هذا السياق تابع الدكتور رشيد ميموني (جامعة الجزائر2) تطور الفكر الاجتماعي في ضوء التغيرات التي عرفتها الجزائر من خلال التركيز على مسار العالم الاجتماعي الجزائري الدكتور علي الكنز الذي دوّن صفحات من حياته في كتابه: «كتابات المهجر».

كما اهتمت ورقة الدكتور الحاج دواق (جامعة باتنة) بقراءة مشروع الهوية عند مولود قاسم الذي قال بضرورة التشبث بالأصالة والتفتح على المعاصرة. وقد عبّر عن هذه المعاني في كتاباته ومحاضراته المتعددة مؤكدا دائما على أن : «الأصالة هي أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره. ودون أن يصبح نسخة غيره.»

وتحدث الدكتور محمد بومانة (جامعة الجلفة) عن دور النخبة في تفعيل الفكر التنويري وتعزيز ثقافة الحوار على ضوء تجربة الفيلسوف محمود يعقوبي (1931) والذي يعد اليوم من أبرز الفلاسفة العرب بفضل بكتاباته المتعددة وجهوده في تكوين أجيال من طلبة وأساتذة الفلسفة، الذين يدرسون في الثانويات والجامعات الجزائرية.

وتناولت الورقة التي أعدها الأستاذ الشريف زروخي والأستاذة نصيرة بوطغان (جامعة سطيف2) التيارات الفكرية في الجزائر وإشكالية المرجعية من خلال أعمال الدكتور عبد الله شريط (1921-2010). ولقد ألف هذا الفيلسوف عدة كتب في المسألة الثقافية في الجزائر مثل: معركة المفاهيم، من واقع الثقافة الجزائرية، المشكلة الإيديولوجية في الجزائر وقضايا التنمية...الخ.

المسألة الثقافية في الفترة الاستعمارية

لقد حظيت المسألة الثقافية في الفترة الاستعمارية باهتمام الدكتور علاوة عمارة (جامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة) الذي تحدث عن التيار البربري بين المرجعية التراثية والأيديولوجية الاستعمارية. وكذلك الدكتور كمال خليل (جامعة سطيف2) الذي رصد مواقف النخبة العربية الجزائرية من بعض القضايا المختلفة في الثلث الأول من القرن العشرين. وأشار بالخصوص إلى أعمال الشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ عبد الحليم بن سماية.

الدراسات الاجتماعية والفلسفية

وفي حقل الدراسات الاجتماعية والفلسفية. تحدث الدكتور عبد الرزاق بلعفروز (جامعة سطيف2) عن معوّقات الفكر الفلسفي في الجزائر وشروط انطلاقه. كما كشفت الورقة التي أعدها الدكتور أنور مقراني والأستاذ الرزقي كتاف (جامعة سطيف2) عن واقع النخب الاقتصادية ودورها الضعيف في التنمية المجتمعية.

وتطرق الأستاذ محمد خماد (جامعة الوادي) إلى دور النخبة الجامعية المثقفة في المجتمع الجزائري المعاصر. وقدمت الدكتورة نوال حمادوش (جامعة سطيف2) عرضا مفصلا عن نتائج دراستها الميدانية حول صورة المثقف في مخيال الشباب والطلبة. وأكدت المحاضرة أنه تغيرت معايير التقييم. فلم يعد الإنتاج الفكري للمثقف هو الذي يجذب فقط الشاب. وإنما ظهوره الإعلامي يؤثر أكثر في صناعة شهرته واكتشاف الشباب له.

في الجدال الفكري

وفي مجال الجدال الفكري. تحدث الدكتور مولود عويمر (جامعة الجزائر2) عن المعارك الفكرية التي عرفتها الساحة الثقافية في الجزائر بين 1962 و1988 حول قضايا لها صلة بالهوية والانتماء. كتحديد مكانة الدين والتراث والعروبة والتغريب والاشتراكية والديمقراطية في المنظومة الإيديولوجية والتربوية. وقال المحاضر أن النقاشات حول هذه القضايا الحساسة لم تقتصر على المثقفين الجزائريين. بل شارك فيها نخبة من المثقفين الأجانب الذين كانوا يومئذ يشتغلون متعاونين في الجزائر خاصة في حقل التربية والتعليم. وأضاف في الأخير أن المساهمة في المناقشات والمعارك الفكرية لم تكن مقصورة على الصحافة المكتوبة كما كانت في فترة الاحتلال. بل لقد وظفت وسائل جديدة تمثلت في الجمعيات والحصص الإذاعية والتلفزيونية والمجلات. وكذلك الكتب الصادرة سواء في الجزائر أو خارجها بسبب المنع أو المصادرة.

وقدم الدكتور سفيان لوصيف (جامعة سطيف2) عرضا تحليليا لكتابه: «السياسة الثقافية في الجزائر: الأيديولوجية والممارسة». وكان أصل الكتاب رسالة دكتوراه ناقشها صاحبها في جامعة منتوري بقسنطينة. وقد نشرها حديثا في بيروت عن دار منتدى المعارف.

وهذا الكتاب يتضمن 639 صفحة من الحجم المتوسط تناول ستة فصول عالجت مسألة الهوية في الجزائر من منظور الأيديولوجية وتنزيلها على أرض الواقع. ومن أهم الفصول التي توقف عندها الدكتور لوصيف في عرضه الفصل السادس الذي عالج فيه علاقة المثقف بالسلطة والمجتمع ومدى قدرته على الموازنة بين الطرفين.

تطرقت الورقة التي أعدتها الدكتورة فيروز زارقة والأستاذة جميلة العلوي (جامعة سطيف2) إلى القيم والثقافة بين جدلية التغير والصراع في الجزائر. وتكلم الأستاذ نصير العرباوي (جامعة سطيف2) عن المجتمع الجزائري المعاصر وخطر الثقافة الفرانكفونية التي تمثل في نظره امتداد للمشروع الاستعماري الذي انهزم المعركة ولم يستسلم بعد وواصل كفاحه بطرق أخرى.

كما تحدث الأستاذ عبد الرزاق قربوع (جامعة باتنة) عن الحركة الإسلامية الجزائرية وتجربتها السياسية في الستينيات والسبعينيات والتي استطاعت أن تتكيف مع متطلبات المرحلة خاصة في الستينيات والسبعينات بينما تراجعت أسهمها في السنوات الأخيرة لأنها فقدت القدرة على الانسجام مع التطورات الحاصلة في العالم والتزاوج بين العمل الدعوي والعمل السياسي.

توصيات وتقدير

لقد أوصى المشاركون في هذا الملتقى بنشر الورقات المقدمة وتوزيعها على المراكز الثقافية والمؤسسات العلمية لتعميم الفائدة. وتوجيه الباحثين والطلبة نحو الاشتغال بقضايا الهوية والتاريخ والشخصيات الفكرية الجزائرية من أجل فهم الذات أكثر وتحقيق التناغم الوطني.

كما اقترحت لجنة التوصيات موضوع: «النخب الجزائرية والتيارات الفكرية المعاصرة» للملتقى الثاني للمخبر المزمع عقده العام القادم بحول الله.

وفي الأخير. توجه مدير مخبر المجتمع الجزائري المعاصر الدكتور عبد العزيز بوالشعير إلى الحاضرين بالشكر على الحضور والمشاركة. نوجه بدورنا تحية خالصة إلى كل الذين سهروا على نجاح الملتقى خاصة مدير المخبر ومساعده الأيمن الدكتور طاهر سعود وغيره من الأساتذة والباحثين.

هذه هي النقاط التي دار عليها الحديث أثناء الملتقى. وتناولتها المداخلات بالتحليل. وأثرتها التعقيبات بالأسئلة والإضافات. اكتفينا بالإشارة إليها هنا. متمنين أن تنشر أعمال الملتقى كاملة في الأشهر القادمة بحول الله.

مفاهيم ومصطلحات

مفهـــوم الأمـــة في القرآن

الأستاذ: ناصيف نصار

في حقيقة الأمر هنالك علاقة جدلية عميقة وغامضة بين المعنى الديني والمعنى الاجتماعي التاريخي للأمة في التكوين النفسي الثقافي الذي تحمله المجتمعات العربية من تاريخها الطويل القديم والحديث: فالمعنيان يتداخلان ويتساندان بحيث إن ما يفتقر إليه المعنى الديني من تجاوب وتطابق في الواقع القائم يوفره بشكل ما المعنى الاجتماعي التاريخي، وإن ما يفتقر إليه هذا الأخير من عمق تراثي ودفع صوفي يقدمه المعنى الديني بشكل صريح أو ضمني.

من هنا، الغنى الهائل المخزون في لفظة الأمة، وأهمية تحليل المعاني المختلفة المنعقدة فيها، وخاصة في النص القرآني نفسه.

ولكن دراسة مفهوم الأمة في القرآن تواجه صعوبات مختلفة عن تلك التي تواجهها دراسة المفهوم نفسه في مؤلفات فلاسفة ومؤرخي القرون الوسطى العربية الإسلامية.

وأولى تلك الصعوبات خلو النص القرآني من أي تعريف لمعنى لفظة الأمة.

وفي الواقع أدرك مفسرو القرآن هذه الصعوبة وعالجوها بطريقة التأويل، لكن هذه الطريقة غير صارمة، فلا تزيل جميع الإبهامات والالتباسات التي تلازم استعمال لفظة الأمة في كثير من آيات القرآن. وهذا يعني أن باب التأويل والاجتهاد غير مقفل أمام العلماء، وأن الوعي الاجتماعي النظري يفيد كثيرا من استذكار تحليلي للمرحلة القرآنية في تاريخ فكرة الأمة.

وردت لفظة الأمة في آيات القرآن بصيغة المفرد، أكثر من خمسين مرة.

ومن الآيات المشهورة التي يرددها المسلمون ويستشهدون بها في مناسبات كثيرة من حياتهم الدينية والمدنية هذه الآيات: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}.{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً}.{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}.{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ}.

ولم يرد في النص الظاهر ما يمكن اعتباره وصفا حصريا أو تعريفا لمعنى اللفظة، إلا أنه من الثابت أن اللفظة لا تحمل معنى واحدا حيثما وردت في القرآن.

وليس في ذلك أي سبب للقراءة: فالاشتراك في اللفظ ظاهرة تعرفها كل اللغات، وإن كانت في اللغة بين معنيين حقيقيين تامين أو أكثر والاشتراك بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والاشتراك في اللفظ بين المعنى الحقيقي والمعنى الشرعي. فما هي المعاني التي تحملها لفظة الأمة في القرآن؟.

اعتمادا على اجتهادات المفسرين القدماء، ودون الدخول في التفاصيل التاريخية لنزول الآيات القرآنية في المرحلة المكية التي يغلب عليها طابع التنزيل الأخروي، وفي المرحلة المدنية التي يغلب عليها طابع التنزيل التشريعي، يمكن تمييز خمسة أو ستة معان لكلمة أمة في مختلف آيات القرآن:

أولا: تعني كلمة أمة الوقت والحين، كما في الآيتين التاليتين: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ}.

ثانيا: تعني كلمة أمة: الإمام الذي يعلم الخير ويهدي إلى الطريق الصحيح، كما في الآية التالية: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

ثالثا: تعني كلمة أمة الطريقة المتبعة، كما في الآية التالية:{إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}.

رابعا: تعني كلمة أمة: جماعة من الناس على الإطلاق، كما في الآية: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ}. أو في الآية:{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ} وهذا المعنى ينطبق على عدد كبير من الآيات التي وردت فيها لفظة الأمة.

خامسا: تعني كلمة أمة: الجماعة المتفقة على دين واحد. والآيات التي تثبت ذلك كثيرة{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}.{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ}.{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ}.{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم}.

ويعتقد الطبري أن هذا هو المعنى الأصلي لكلمة أمة، مع أنه يقبل تفسير الأمة في بعض المواضع كمرادف للجماعة من الناس أو للصنف من الناس.

سادسا: تعني كلمة أمة: جماعة جزئية من أهل دين معين، كما في الآية التالية: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}. أو في الآية:{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا}. ففي الآية الأولى، تعني (من) في كلمة (منكم) التبعيض: إذ إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية لما يقتضيه من شروط غير متوفرة في جميع المؤمنين.

لقد شعر المفسرون بشيء من الحرج أمام آيات كهذه {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ}. {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ}. {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}.

ومصدر الحرج من الناس صعّب تبيين من هم الرسل في جميع الأمم، وإذا كان محمد مرسلا إلى أمة واحدة، فكيف تتحدد هذه الأمم؟ وكيف التوفيق عند ذاك بين خصوصية الرسالة وشموليتها الإنسانية؟

وفي الحقيقة، لم يدرس المفسرون بصورة منهجية نظامية هذه الجوانب من معنى الأمة، ولم يتعمقوا في درس مفهوم الأمة مجردا عن مفهوم الطريقة أو الملة. لقد غلب على أذهانهم الارتباط القائم بين الجماعة والشريعة، فأهملوا الاهتمام النظري بماهية الأمة قبل ورود الشرع، إلا أنهم ميزوا في هذا السياق بين ما أسموه أمة الدعوة، وهي الأمة التي بعث فيها رسول، وما أسموه أمة الإجابة، وهي مجموع المؤمنين بذلك الرسول.

وإنه لمن الواضح أن لا تطابق بين أمة الدعوة وأمة الإجابة، فأمة الدعوة تتحدد بشيء آخر غير الإيمان، ويمكن أن يظل بينهم من لا يستجيب لدعوة الرسول نتيجة لمبدأ عدم الإكراه في الدين.

نستنتج من هذا كله أن التصور القرآني للأمة يقوم على جدلية بين الطريقة والجماعة، وأن الحل المعتمد لهذه الجدلية هو تصور الجماعة المتفقة على طريقة واحدة. وفي هذا الحل يتقدم معنى الطريقة على معنى الجماعة، بحيث إن الجماعة تصبح محددة ومعروفة بالطريقة التي تتبعها.

وقد تغلب في التصور القرآني للأمة معنى الوحدة في الاتجاه، أي الوحدة في العقيدة والطريقة، دون أن يغيب معنى الوحدة في المصدر، لسببين رئيسيين مترابطين: طبيعة الرسالة التي قام بها النبي محمد، وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في عصره.

فالرسالة الجديدة تقتضي تكوين جماعة جديدة تكون الوحدة فيها قائمة على الإيمان بالعقيدة الجديدة وعلى ممارسة أحكامها ونظام قيمها.

وهذه الجماعة الجديدة لا تكون جديدة إلا بمقدار ما تتجاوز طبيعة العلاقة القبلية السائدة بين العرب. أليس مثيرا للتساؤل أن تكون كلمة قبيلة غير واردة سوى مرة واحدة وبصيغة الجمع في آيات القرآن؟ لا ريب في أن هذا الغياب دليل -من جملة أدلة- على إرادة حامل الرسالة الجديدة نقض نظام العلاقات الاجتماعية المبنية على وحدة النسب، أي نقض تصور الأمة المشترك مع تصور القبيلة.

قضايا فقهية معاصرة

د. عبد الله بن بيه

مسائـــل التهـــاني لغيـــر المسلميـــن

إن مسائل التهاني لغير المسلمين، اختلف فيها الناس، وهناك من يرى جوازها، وأيدها الشيخ ابن تيمية في رسائله، وهي للمصلحة، وعلى هذا الأساس تكون التهنئة للمسيحيين جائزة، وهي من المسائل المختلف حولها، التي ينبغي ألا تثير التباغض والتدابر بين الناس.

ورأى ابن بيه أن المصلحة تكمن الآن في التحالف مع الذين يحكمون قيم الوئام والسلام وترك الخصومة، فالمطلوب الآن إنقاذ البشرية من ويلات الحروب.

ويقدر بعض الناس مصلحة قد لا يقدرها الآخر، فبعضهم لا يرى ما يمنع التهنئة بناء على انعدام الأدلة، وينادي باتساع الصدور، ومشكلتنا في العالم الإسلامي عدم اتساع الصدور للمسائل الخلافية.

فنحن ننصح أن يتعلم الناس الاختلاف وأسباب الاختلاف، وهناك أسباب كثيرة منها ثبوت النص ومعقول النص ودلالة النص.

واستدل الدكتور ابن بيه في دفوعاته بتزكية الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحلف الفضول، وهو حلف عقد في الجاهلية قال عنه الرسول (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت. خالفوا أن ترد الفضول على أهلها، وألا يعز ظالم مظلوما).

كما أن أغلب المفسرين فسروا آية {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} بأنها ليست مقتصرة على المسلمين فقط، متكئين على ما قبلها{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}. وعلينا كمسلمين أن نستوعب هذه المعاني دون أن نقدم أي تنازل عن ديننا.

ولا يعتبر ابن بيه من أقدم على تهنئة المسيحيين متنازلا عن دينه.

إعجـــاز

د: عبد الدائم الكحيل

فوائـــد الحبـــة السوداء؟

يقول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وصحابته: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام) (رواه: البخاري)...

يقول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وصحابته: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام) (رواه: البخاري).

يدل هذا الحديث على الأهمية القصوى للحبة السوداء في شفائها لجميع الأمراض باستثناء السام وهو الموت.

ماذا يقول العلم بهذا الخصوص؟

في المقام الأول تناول هذه الحبة السوداء يؤدي إلى تقوية الجهاز المناعي للجسم، وبالتالي تزداد مقاومة الجسم ضد جميع أشكال المرض.

وهذا تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم (شفاء من كل داء).

ومع أن الأبحاث العلمية على الحبة السوداء تعتبر قليلة حتى الآن إلا أن فوائد هذه الحبة وعلاجها للعديد من الأمراض لازال ينكشف شيئاً فشيئاً.

فهي تفيد في مرض ضغط الدم وارتفاعه. وأن تفل الحبة السوداء بعد عصرها يؤدي إلى تقليل ضغط الدم، وتعد الحبة السوداء مقاومة للجراثيم، لذلك فهي مضاد حيوي ممتاز.

كما تم إثبات فوائد زيت الحبة السوداء حيث إنه يوسع الأوعية الدموية، كما أن هنالك فائدة تتمثل في إزالة التشنجات المعدية عند تناول كميات خفيفة من الزيت (زيت الحبة السوداء).

ولكي يتم الاستفادة بشكل جيد من الحبة السوداء يفضل طحن الحبة السوداء ومزجها مع العسل وتناولها.

ويمكن للحبة السوداء علاج جميع الأمراض الإنتانية والجرثومية باعتبارها مضاداً حيوياً طبيعياً، يمكن علاج حالات الأكزيما المزمنة بزيت الحبة السوداء من خلال دهن المنطقة المصابة. كما يمكن مزج مسحوق الحبة السوداء مع الحليب المحلى بالعسل لعلاج البرود الجنسي.

وبالنتيجة تعد الحبة السوداء بحقّ مادة تقوي الجهاز المناعي للجسم وذلك ضد كل أشكال الأمراض.

وصدق الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام عندما قال: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء).

سورة النساء

مختصـــــر تفسير ابن عاشور (195)

42-41 [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا] :

حرف الفاء للتفريع لأنه يتفرع عن ذلك سؤال عن حال الناس إذا جئنا من كل أمة بشهيد. فالناس بين مستبشر ومتحسر. وجئنا بالرسول شهيدا عليهم. فجاء الخطاب للرسول تشريفا له بالإقبال عليه بعز الحضور.

والاستفهام مستعمل للتعجيب. من حال المشركين وحيرتهم. ومحاولتهم التملص من العقاب بالإنكار أن يكونوا أنذروا أو قد جاء شهيد عليهم لا يكذب.

فالناجي يزداد سرورا بمشاهدة حال الخاسر الذي يزداد حسرا بمشاهدة الناجي. وكلاهما يقوى يقينه. بشهادة الصادقين له أو عليه.

ويشهد لذلك آيات أخرى كقوله تعالى:{وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} (النحل:84). وشهيد كل أمة هو رسولها.

ويقصد بهؤلاء في اصطلاح القرآن المشركون يقول ابن عاشور: «وهذا معنى ألهمنا الله إليه. استقريناه فكان مطابقا» وأصل الإشادة يكون إلى مشاهد في الوجود أو منزل منزلته ولما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن قال ابن مسعود: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأ عليه سورة النساء حتى إذا بلغ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) قال أمسك. فإذا عيناه تذرفان.

وعلق ابن عاشور على هذا الحديث الذي أخرجه البخاري بقوله: «لا فعل أجمع دلالة على مجموع الشعور عند هذه الحالة من بكاء الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه دلالة على شعور مجتمع فيه دلائل عظيمة. وهي المسرة بتشريف الله إياه في ذلك المشهد العظيم. وتصديق المؤمنين إياه في التبليغ. ورؤية الخيرات التي أجزت لهم بواسطته. والأسف على ما لحق أمته من العذاب على تكذيبه. ومشاهدة ندمهم على معصيته. والبكاء ترجمان رحمة ومسرة. وأسف وبهجة».

(يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا) هذا بيان لحال الذين كفروا حين يرون ما ينتظرهم من العذاب بشهادة الأمم على مؤمنهم وكافرهم. ويوقن هؤلاء الكفار بأنهم مشهود عليهم بالكفر ومأخوذون إلى بئس المصير. فينالهم من الخوف ما يودون منه أن تسوى بهم الأرض. وأنهم يصيرون ترابا. ويودون أنهم لم يبعثوا وبقوا مستورين في بطن الأرض. أو يودون أن يدفنوا حينئذ من شدة خوفهم وذلهم. ويودوا أن يصيروا غير ظاهرين على الأرض. وهذا ما عبرت عنه آية أخرى:{وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً}(النبأ:40).

(ولا يكتمون الله حديثا) لما قامت الشهادة عليهم خامرهم أن يكتموا كفرهم. وينكروه إذا سألهم ربهم. فلم تذعن نفوسهم للاعتراف بالحق لما رأوا عواقب ثبوت كفرهم. فتمنوا أن يختفوا ولا يظهروا حتى لا يسألوا ويضطروا إلى الاعتراف المهلك. ولا إلى الكتمان الكاذب.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} :

تبين هذه الآية حكمين من أحكام الصلاة. وكأنه آن الأوان لتشريع الحكم في الخمر. واقترانه بحكم يتعلق بالصلاة. فإن الخمر كانت حلالا أول الإسلام وفي المسلمين من يشربها فنزل قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}(البقرة:219) . في أوائل الهجرة فقال فريق من المؤمنين نحن نشربها لمنافعها لا لإثمها. فكانت هذه الآية إيذانا بأنها على وشك أن تحرم لاشتمالها على الإثم. وهو وصف مناسب للتحريم. ولكن الله أبقى إباحتها رحمة لهم في معتادهم. مع تهيئة النفوس إلى قبول تحريمها. فحدث بعد ثلاث سنوات ما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا خمرا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون. فأنزل الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} والقرب هو الدنو من المكان أو الذات. ومعناه هنا التلبس بالفعل. واختير هذا الفعل إشارة إلى أن هذه الحالة تنافي الصلاة. وصاحبها جدير بالابتعاد عنها في أفضل قربى إلى الله. فكان ذلك إيذانا بالتنفير من شأن الخمر. فذلك قد يؤدي إلى اختلال أعمال الصلاة. لاختلال في الذهن. والسكران هو الذي أخذ عقله في الانغلاق. فالسكر هو الغلق ومنه سكر الباب (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا)(الحجر:15) أي أغمضت وأغلقت.

وبعد نزول هذه الآية اجتنب المسلمون شرب الخمر في أوقات الصلاة. فكانوا لا يشربون إلا بعد صلاة العشاء. وبعد صلاة الصبح. وجاء تحريم قربان الصلاة بدون طهارة أيضا في قوله: (ولا جنبا) فالذي جامع زوجته لا يقرب الصلاة إلا بعد الغسل. وهو كان معروفا في الجاهلية ولعله من بقايا الحنيفية. وهذا تمهيد إلى تشريع حكم التيمم الذي شرع في غزوة المريسيع سنة ست أو خمس للهجرة. وقد نزلت سورة النساء قبل سورة المائدة. وتسمى آية المائدة بآية الوضوء. واستثنى من ذلك حالة العابر للمسجد المار به. ويمكن أن يدل على المسافر الذي يضطر فبقاء الماء الذي معه لشربه. فالتيمم بدل الغسل. فهو مبيح للصلاة وليس رافعا للحدث. في مذهب مالك. وكذلك المريض الذي لا يقدر على استعمال الماء.

فهذا تشريع للغسل من الجنابة وجوبا. وحكمته النظافة. ليكون المصلي في حالة كمال طهارة الجسد كما يكون في حالة كمال الباطن بالمناجاة والخشوع وفي طهارة الجسد بغسله من الجنابة تجديد نشاط المجموع العصبي الذي يعتريه فتور باستفراغ القوة من الجسد ففي هذا حكم نافعة. وقد شرع الغسل عند اليهود كما ورد في التوراة (الإصحاح 15) من سفر اللاويين.

(أو جاء أحد منكم من الغائط) هذا حكم التيمم الواقع بدلا من الوضوء. فالمريض الذي اختل نظام صحته فأصبح الاغتسال بضره أو يزيد من مرضه يجوز له التيمم من قضاء الحاجة البشرية. والغائط ما انخفض من الأرض وما غاب عن البصر. فكان العرب يسيرون إلى المنخفض من الأرض لقضاء حاجتهم البشرية.

وقوله: (أو لامستم النساء) أي قاربتم النساء وهذا كناية عن الجماع. وذلك كله بشرط عدم توافر الماء إلا المريض فلا يشترط فيه ذلك.

والمقصود من الصعيد ما يشمل التراب والرمل والحجارة. بأن يكون ذلك طيبا أي طاهرا لم تلوثه نجاسة ولا وساخة.

وكان من همّ ابن عاشور البحث عن حكمة التيمم زمنا طويلا لما كان طالبا ثم فتح الله عليه حكمة ذلك.

فحكمة تشريع لزوم الطهارة تقريرها في نفوس المؤمنين. وتقرير حرمة الصلاة ورفع شأنها في قلوبهم. فلم تترك لهم حالة يصلون فيها بدون طهارة. فلذلك شرع لهم عملا يشبه الإيماء إلى الطهارة ليشعروا أنهم مطهرون وجعل ذلك بمباشرة اليدين صعيد الأرض. وهي منبع الماء. ولأن التراب مستعمل شرعا في غسل الأواني. مع تجديد طلب الماء لفاقده عند زوال مانعه. ولما كان التيمم طهارة رمزية اكتفت الشريعة فيه بالوجه والكفين. وهذا منتهى ما عرض لابن عاشور من حكمة مشروعية التيمم بعد طول البحث والتأمل في حكمة مقنعة في النظر. وكان أعد التيمم نوعا وحيدا بين الأحكام الشرعية من معنى التعبد. ويكتفي فيه بمسح الوجه واليدين. إذ ليس المقصود منه تطهيرا حسيا ولا تجديد النشاط. ولكن مجرد استحضار استكمال حالة الصلاة. ولذلك ورد الحديث: «يكفيك الوجه والكف» وقوله: (إن الله كان عفوا غفورا) فالله عفا عن المسلمين فلم يكلفهم الغسل والوضوء عند المرض. ولا ترقب الماء عند فقده.

إقامة الصفوف.. والزحام في المضائق

د. محمد عبد النبي

لا تستهويني الكتابة في بعض السنن العبادية التي يحلو للبعض أن يصرف في النقاش فيها جهدا ووقتا. لأن من عادة من يشتغل بها أن لا يلتفت إلى ما هو أهم وأجدى. ولأن ما تثيره من لغط قد لا يسلم الوالغون فيه من غيبة. ومن فساد في القلب. قد ينال من دين المرء. وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

أخرج مسلم (1/323) عن أبي مسعود قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة. ويقول: استووا ولا تختلفوا. فتختلف قلوبكم. ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم. قال أبو مسعود: فأنتم اليوم أشد اختلافا».

وأخرج البخاري (1/ 145) عن أنس بن مالك قال: «أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه. فقال: «أقيموا صفوفكم وتراصوا. فإني أراكم من وراء ظهري».

وأخرج البخاري (1/164) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أقيموا صفوفكم. فإني أراكم من وراء ظهري. وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه. وقدمه بقدمه».

وأخرج أبوداود(1/178) وابن خزيمة في صحيحه(1/120) عن النعمان بن بشير قال: «أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس بوجهه. فقال: أقيموا صفوفكم ثلاثا. والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم. قال: فلقد رأيت الرجل منا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وكعبه بكعبه».

الترغيب في إقامة الصفوف قبل إقامة الصلاة يضفي على مشهد الوقوف بين يدي الله جلالا وجمالا. ويشير إلى أهمية النظام في حياة المسلم. ويهيئ المسلمين للاصطفاف والانضباط في ميادين الجهاد. والعلاقة بين الإخلال بالصفوف وبين ما يفضي إليه من فساد القلوب بادية. في تهديد النبي صلى الله عليه و سلم «والله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح(2/211): «المراد بذلك المبالغة في تعديل الصف وسد خلله. وقد ورد الأمر بسد خلل الصف والترغيب فيه في أحاديث كثيرة. أجمعها حديث ابن عمر عند أبي داود. وصححه ابن خزيمة والحاكم. ولفظه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل. ولا تذروا فرجات للشيطان. ومن وصل صفا وصله الله. ومن قطع صفا قطعه الله».

وقد أورد ابن حجر هذا الحديث مسندا للإشارة إلى وروده عند البخاري معلقا. وذلك في قوله: «وقال النعمان بن بشير: «رأيت الرجل منا يلزق كعبه بكعب صاحبه».

وأما نحن فقد رأينا شبابا-يحرصون على التسنن- يطاردون شيوخا في المساجد-بلزق الكعاب إلى الكعاب- فضوا عمرهم من دون هذه السنة. ولما كان للإلف دوره في موقف الكبار. وكانت«المطاردة» من قبل أناس جاءوا «بدين جديد» فقد نشأ نفور بين الطرفين انتهى في كثير من الحالات إلى تلاسن في داخل المساجد. ولغط في خارجها!

وانضاف إلى ذلك ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من ندبه للتزاحم في الصلاة !

فقد أخرج ابن الجعد في مسنده (1/347) عن الحارث الأعور قال: «كان علي يسوّي صفوفنا في الصلاة ويقول: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم. تماسكوا تزاحموا».

وساق الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (11/77) حديث: «تزاحموا تراحموا» وقال:«لا أعرف له أصلا..» ثم قال: «..ولعل أصله ما أخرجه الطبراني في (الأوسط) ومن طريقه أبو نعيم في (الحلية) من طريق مجالد عن الشعبي عن الحارث عن علي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «استووا تستوي (كذا) قلوبكم. وتماسوا تراحموا». قال سريج بن يونس أحد رواته: تماسوا يعني: ازدحموا في الصلاة. وقال غيره تماسوا: تواصلوا».

لا أزال أنفر من الزحام في كل شيء. ولا أستلذ عبادة تلتصق فيها الأجسام. ويتفقد الناس فيها جيوبهم. مخافة السرقة حتى في البيت الحرام. ولا يزال يحير بعض الأئمة يندبون المصلين إلى التزاحم. بالحديث الذي لا أصل له. وكنت- ولا أزال- أستغرب الربط بين الزحام والرحمة!

ولمن يسوي بين رص الصفوف المأمور في الحديث وبين التزاحم تنبهه إلى أن الرص رَبط بإقامة الصف. وأما التزاحم فهو أقرب لانفراطه وحصول الفوضى المنافية للنظام المأمور به. قال صاحب المصباح المنير(4/57): «زحمته زحما: من باب نفع: دفعته وزاحمته مزاحمة وزحاما. وأكثر ما يكون ذلك في مضيق..»

a.abyasser@gmail.com

مكتب الفتوى والاستشارات الشرعية

يسر لجنة "الدعوة والإرشاد والإفتاء" بالتعاون مع جريدة "البصائر" أن تخصص هذه الأرقام الهاتفية لمجموعة من أهل العلم والفضل المتطوعين لوجه الله للإجابة عن التساؤلات الشرعية:

الدكتور الشيخ محمد بن السايح: -0561785489 الدكتور الشيخ محمد بوركاب: -0555497098 الدكتور الشيخ عبد العزيز بن السايب: -0555497078 الدكتور الشيخ محمد هندو:-0542111874 الشيخ محمد علي بوروبية 0557919849 الشيخ عمار رقبة الشرفي:-0557540865 الشيخ كمال أبوسنة: 0554108178.

وللنساء رقم خاص للأستاذة فضيلة وعليلي:0666656729 أو 0556898075.

ملاحظة:

في حال ما طلب السائل رقما ووجده مشغولا فعليه أن يتصل برقم آخر حتى يتواصل مع أحد المشايخ.

«استوصوا بالنساء خيرا»

بقلم: أمال السائحي. ح

لا خلاف على أن العنف صار ظاهرة عامة في حياتنا، فأنى تلفتنا تصادفها، إذ نشاهدها في البيت وفي الشارع وفي المدرسة، وهي ليست محصورة في مجال دون آخر، أو مقصورة على فئة دون أخرى، أو خاصة بمجتمع دون غيره، الأمر الذي استدعى اختصاصها بيوم عالمي لمناهضتها في إحدى تجلياتها وهو العنف الموجه للمرأة، وتنبيه الناس إليها وتعريفهم بما تتسبب فيه من أضرار بالغة للفرد والمجتمع، بغية حملهم على تكثيف جهودهم للتصدي لها ومواجهتها حتى تتم محاصرتها والقضاء عليها، لكن ما هو العنف؟ وما المقصود به؟

العنف عند ابن منظور يعني الخرق والتعدي: فنقول عنف أي خرق ولم يرفق، وهو ضد الرفق: عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة أي قسا عليه، وهو عنيف إن لم يكن رفيقا في أمره، ونقول اعتنف الأمر أي أخذه بعنف، وعنف الشيء أخذه بشدة وقسوة.

أما جميل صليبا في المعجم الفلسفي فيعتبر العنف هو استخدام القوة استخداما غير مشروع أو مطابق للقانون.

بينما بربرا وينمر فتعرف العنف «بأنه هو خطاب أو فعل مؤذ أو مدمر يقوم به فرد أو جماعة ضد أخرى».

مما سبق يمكن تحديد العنف بأنه: «الخرق والتعدي والقسوة واستخدام القوة كيفما كانت بشكل غير مشروع أو غير مطابق للقانون» هذا الفعل أو السلوك الموجه للآخر الذي قد يسبب أو يسبب له أذى نفسيا أو جسديا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، والضعفاء هم من يكونون في الغالب موضوعا للعنف سواء كانوا ضعفاء من الناحية الجسدية كالأطفال، أو من الناحية المادية كالعبيد أو الخدم أو النساء.

في اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، الذي جرى فعالياته ابتداء من 25 نوفمبر إلى 20 ديسمبر وما رافقه من مؤتمرات وفعاليات وحملات إعلامية محلية ودولية، لمناهضة كل أشكال العنف ضد المرأة، والعلماء الدين آراء صريحة وواضحة في الشرق والغرب، وقد كان للشريعة الإسلامية السبق في حفظ حقوق المرأة وصيانتها من أي اعتداء يمس كرامتها أو جسدها.

وإذا كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة والهيئات المحلية والدولية المعنية بحقوق المرأة، قد حذرت من تنامي مظاهر العنف ضد النساء في المجتمع عامة، وفي الأسرة خاصة، منها العمل القسري والتحرش الجنسي، والاتجار بالنساء وجرائم الشرف، وغير ذلك من الممارسات العنيفة بحق الفتيات والنساء في مختلف دول العالم، فإن علماء العالم الإسلامي يؤكدون أن العودة إلى منهج الإسلام هو الذي يكفل حفظ كرامة وحقوق المرأة.

وقد فند علماء الدين الشبهات المثارة من بعض الأقلام الغربية، وحتى العربية الإسلامية حول آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ضرب النساء، مؤكدين أن تلك الآيات ليست على إطلاقها، وأنها فهمت خطأ من بعض الاجتهادات الخاطئة، والكتابات المغرضة.

وأكد علماء العالم الإسلامي أن العنف يمثل انتهاكا للقيم الثقافية والدينية، بجانب كونه في الأصل انتهاكا للحقوق الإنسانية للمرأة، وأن النساء على امتداد العالم تعانين من العنف الواقع عليهن، بغض النظر عن العرق، أو الجنسية، أو الدين، أو السن، أو الطبقة الاجتماعية اللاتي ينتمين إليها.

لأن التشريع الإسلامي ككل ساوى بين الرجل والمرأة، وأن تلك الجرائم التي تحاك ضدها بعيدة كل البعد عن مبادئ الإسلام وتعاليمه.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن العنف قد تولد من تلك الأسس العنيفة في التربية التي نشأ عليها الفرد، فهي التي ولدت لديه العنف، وجعلته ضحيّة له، وتشكّلت لديه شخصية ضعيفة وتافهة وغير واثقة، وهذا ما أدى بهذا الشخص إلى أن يكون عنيفا مع والدته وأخته، زوجته وابنته، أو أخته.

أو تلك التقاليد الخاطئة، التي تحول دون تنامي دور المرأة وإبداعها، حيث هناك أفكار وتقاليد متجذّرة في ثقافات الكثيرين، والتي تحمل في طيّاتها الرّؤية الجاهلية التي تميز الذّكر عن الأنثى؛ مما يؤدّي إلى تصغير الأنثى ودورها، حيث يعطى الحق دائمًا للمجتمع الذكوري في الهيمنة والسلطنة وممارسة العنف على الأنثى منذ الصغر وتعويد الأنثى على تقبّل ذلك وتحمّله والرّضوخ إليه، مهما كانت مكانتها، ومهما كان سنها، ومهما كانت مرتبتها بين إخوتها، بالإضافة إلى الخلل المادي الذي يواجهه الفرد والأسرة، وضعف الخدمات الاجتماعية من مشكلة العمل، إلى السكن، إلى المشاكل الاقتصادية برمتها، التي تضغط على الآخر وتدفعه إلى أن يكون عنيفًا، ويصبّ جام غضبه على المرأة، أضف إلى ذلك النّفقة الاقتصادية التي تكون للرّجل على المرأة، إذ أنّ مَن يعول المرأة، يظنّ بأنّ له الحقّ في تعنيفها، وذلك عبر إذلالها وتصغيرها لأبسط الأمور.

أما الإسلام فينظر للمرأة على أنها كالرجل تماما، والغاية الأسمى تكمن في توزيع الأدوار بينهما في الحياة، ولا تعني أبدا خصوصية لأحد على الآخر ولا تمييز لجنس على جنس.

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى في العديد من آياته، والتي منها قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾، والله تعالى حينما يذكر مناقب الصالحين من عباده يساوي بين الرجال والنساء فيقول تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾الآية 35 سورة الأحزاب، فأي تفريق هنا؟ والإسلام أكد في هذه الآيات أنه لا فرق مطلقا بين الذكر والأنثى كما أكدت ذلك السنة النبوية حيث ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... النساء شقائق الرجال» كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم، أنه في حجة الوداع لم يغفل عن أن يستوصي بالنساء حيث قال صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرا».

العيادة النفسية...

الشخصية وتحقيق الذات

إن مسألة الشخصية تعتبر من أهم موضوعات علم النفس من حيث هي فهم للسلوك ومعرفة للأفراد، فحسب شخصية الفرد تكون ردود أفعاله وأساليب معاملاته مع الناس وكذا دوره في المجتمع، والشخصية هي حصيلة التربية وما تعوده الطفل من قيم وتقاليد وما تأثر به من سلوكيات والديه، وتعد الأسرة أهم عامل من عوامل بنائها وبلورتها، ذلك أنها تحوي معظم مراحل نمو الفرد وتفاعله مع البيئة الخارجية، دون أن نتجاهل دور الوراثة والمدرسة والمجتمع وما يلفونه من ظلال على هاته الأخيرة .

فإذا كان إعداد المجتمع بأفراد صالحين أهم دور من أدوار الأسرة، فكيف نستطيع الوصول بأبنائنا لبر الأمان بشخصيات سوية وفعالة؟

لقد غلب على تفكيرنا اليوم كأسر جزائرية أن واجبنا الأول في الحياة هو تربية أبنائنا، فحاولنا قدر جهدنا أن نوفر لهم أفضل ما نستطيع من مسكن وملبس وأجهزة إلكترونية...و...و، إضافة إلى تحملنا المسؤولية بدلا عنهم حتى يتفرغوا لدراستهم ويحققوا النجاح المرجو لضمان مستقبلهم، وأيضا بدافع داخلي قد لا نعيه ورغبة خفية في إمتاع أبنائنا بحياة رغيدة لم يكن لنا منها نصيب في صغرنا، ظنا منا أننا بهذا نسير بهم نحو قوة الشخصية وتوهج العقل.

وتمضي السنون ونحن فرحين بهؤلاء الأبناء الذين سيكونون لنا سندا في الحياة كما كنا لوالدينا، ونتشرف بهم أمام الناس قاطفين ثمار تعبنا، ليتحملوا عنا المسؤولية ونرتاح أخيرا في حضنهم ودفئهم؟

ومع بدايات المراهقة وقد هبنا أنفسنا للتمتع بأولادنا وبناتنا وقد كست أجسامهم علامات الرجولة وجمالبات الأنوثة نفاجأ بما لم يكن في الحسبان...؟

يبدأ أولا تمرد الذكر خفية أو علنا فتبدأ نتائجه الدراسية بالتراجع وشبح التسرب المدرسي يلوح في أرجاء البيت ورائحة السجائر تنبعث من بين ثنايا الثياب..و..وقلب الأم يرجف وأعصاب الأب تشتد.. وجدران البيت تصدح تارة بالنصائح والكلمات البليغة وتارة بالصراخ وحتى الضرب، لقد دخل في شلة أصدقاء السوء، لماذا؟لماذا يحدث هذا؟ ماذا فعلنا لك؟

إنه بكل بساطة يبحث عن ذاته بعيدا عن الأوامر والقيود، بعيدا عن نظرات الإذلال واللوم.. بعيدا عن المقارنات المؤلمة..إنه يريد أن يخبرنا أنه صار رجلا بأي ثمن، ولكنه يفشل في تحمل مسؤولية نفسه في هذا المجتمع..إنه يتجه إلى الأسفل..فما الحل؟ فالمراهق صار يرفض كل شيء يأتي من أسرته، إلى أين نتجه؟ ما الحل مع هذا المارد الصغير؟ لا أحد يجيب، فلا حضن جدة دافئ، ولا خال يصاحب..فصلة الرحم قد تسبناها يوم جعلنا حياتنا وقفا على أبنائنا ولم نعد نسمع بهذه الكلمة إلا بين دفتي المصحف.

وفي هذا الجو المشحون بالخيبة والألم تواصل الفتاة تفوقها الدراسي فارضة طلباتها المتصاعدة معتدة بنفسها فيتمسك الوالدان بها مقنعين أنفسهم بأن المشكلة في الولد والشارع، ولكن تمرد البنت يأتي لاحقا حيث تتمرد على زوجها ويتضح جليا أنها غير قادرة على تحمل المسؤولية والصبر على تبعات الزواج كما لم يستطع الولد قبلها الصبر على حصص الدراسة، فتفر إلى حضن أسرتها محطمة بيتا ومجتمعا، كما فر الولد قبلها إلى حضن أصدقائه محطما نفسه ومجتمعه.

لقد فقدنا أبناءنا منذ الصغر وطبيعي جدا أن يفشلوا مع أول تجربة حياتية يخوضونها بأنفسهم؟

لقد وضعنا أبناءنا في سجن من اهتمامنا وحبنا لتعطيهم كل شيء ..ونحرمهم من أهم شيء؟

من حقهم في بناء شخصية مستقلة..

من حقهم في تحقيق ذواتهم والفرح بإنجازاتهم..

من حقهم في اختيار توجهات حياتهم عن دوافع داخلية..

من حقهم في التمتع بحياتهم بقناعات ذاتية..

إن تحقيق الذات هو أهم ركيزة في بناء الشخصية، ونستطيع القول أن الشخصية هي شكل من أشكال تحقيق الذات.

فإذا لم يأخذ الفرد حقه كاملا في تحقيق ذاته طفلا ومراهقا فليس من حقنا مطالبته بشيء ولا حتى لومه، لأنه وكما تقوي الحركة والنشاط عظام الجسم وتشدها كذلك التجارب الحياتية تقوي الشخصية وتدفعها إلى الأمام .

إذن فدور الوالدين في حياة الطفل يكون بالتماهي (تقليد الطفل لوالديه) والحماية لا بالتقييد والتخطيط فلا إفراط ولا تفريط.

إن عقلية اجلس هادئا كل واشرب وادرس فالحياة صعبة ونحن نتحمل عنك ثقلها ونوفر لك ما تريد وكل أموالنا لك فلا حق فيها لسائل ولا مسكين؟ هي التي أعطتنا جيلا هشا لا يستطيع الوقوف متزنا على قدمين دون الاتكاء على والديه..جيل لا يستطيع تحمل مسؤلية نفسه..يمزقه القلق والملل، يترنح يمنة ويسارا لا حظ له في استقرار نفسي ولا اجتماعي.

بينما آباؤنا البسطاء وبإمكانيات قليلة استطاعوا أن يصنعوا منا رجالا ونساء؟ لقد أعطونا مساحة كبيرة لتحقيق ذواتنا ليس لأنهم كانوا أخصائيين في علم النفس أو علم الاجتماع؟ بل لأنهم كانوا يعيشون في مجتمع تسري في عروقه قيم ديننا الإسلامي العظيم، من صلة الرحم، وإغاثة اللهفان وسخاء اليد والنفس، مجتمع كان فيه للأرملة واليتيم حقوق قبل الأبناء لقد تعلمنا منهم أروع دروس العطاء..تعلمنا كيف نضحي لا كيف نأخذ..إنها بيئة تصنع الرجال العظماء والنساء الفاضلات.

أما الآن ..أفما آن لنا التخلي عن هذه الأنانية والذاتية التي استوردناها مع الحياة العصرية والعودة لتنظيم مجتمعنا وفق تعاليم ديننا الحنيف والسعي في طلب العلم مستفيدين من توجيهات علم النفس في فهم أبنائنا أطفالا ومراهقين.

د. لمياء هميلة

نمط الحياة..

أسرار يتمنى الرجل لو تعرفها المرأة..

إن الرجل بطبيعته، لا يبوح دائماً بالأمور التي تزعجه، علماً بأنّه يتمنى لو زوجته تعلم ببعض الأسرار التي لا يفصح عنها، اكتشفي في ما يلي ما هي أسرار الرجل لتجنّب المشاكل والخلافات في الحياة الزوجية:

- ليس رجلاً مثالياً: على الرغم من أن الرجل يحب أن يكون الزوج والأب المثالي، إلّا أنّه يشعر بالتوتر والضغوط إن كانت زوجته تتوقّع منه الكثير، أي أكثر من طاقته، لذا ننصحك بتقدير جهود زوجك بدل التركيز على الأخطاء الصغيرة التي قد يرتكبها، فما من إنسان مثالي!

- هو حساس وعاطفي أيضاً: يعتقد بعض الرجال أن التعبير عن المشاعر قد ينقصهم من رجولتهم، لذا يميلون إلى إخفائها، ولكنّ الرجل يتمنّى في قرارة نفسه لو تدرك زوجته أنّه هو أيضاً حسّاس وعاطفي حتّى لو لم يكشف عن هذا الجانب الخفي من شخصيته.

- مجاملاته صادقة، تقبّلبها!: تميل المرأة إلى رفض المجاملات التي يقولها الزوج لو ترد عليها بطريقة سلبية، مثلاً عندما يقول الزوج لزوجته أنّها جميلة وترد عليه قائلة: لماذا تجاملني؟ ماذا فعلت؟ ما الخطأ الذي ارتكبته هذه المرّة؟..لهذا السبب يتمنّى الرجل لو تتقبّل المرأة مجاملاته الصادقة، من دون أن تفتعل المشاكل.

- هو أيضاً يحتاج إلى الدعم العاطفي: ليست المرأة وحدها التي تحتاج إلى الدعم العاطفي، إنّما الرجل أيضاً يتمنّى لو تدرك زوجته كم هو محتاج لعاطفتها وحنانها، فهو يخبئ وراء رجولته وقوته، طفل يحتاج إلى الشعور بالأمان مع المرأة التي يحبّها.

مجلة الأسرة

همساتي للفتاة المسلمة

أنت والحياة..

كم تتمنى الفتاة النجاح في حياتها وتطمح إليه، فالنجاح مطلب كل نفس سوية، ومقصد كل عقل راجح، ولكن الحياة مدرسة شاسعة الأرجاء كثيرة الأسرار، صعبة الاختبارات، لا تمنح النجاح بالمجان ولا تمهد السبل إلا لمن أراد بقوة وصبر، وسخر في سبيل ذلك الجهد والعمر، وألقى من أجله السمع والبصر وقد قال الشاعر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

وكم تخطئ الفتاة المسلمة - وهي تبتغي النجاح - حين تجعل حياتها كتابا مغلقا تمنع أي أحد أن يضيف إليه حرفا واحدا أو سطرا جديدا، حتى لو كان نبيا مرسلا أو عالما مفكرا أو خبيرا متفرسا، وحتى لو كان ما سيضيفه قبس نور قد يملأ عليها عالمها سعادة وابتهاجا..

ولتكون ناجحة موفقة..عليها أن تجعل حياتها درسا متواصلا تتعلم من تفاصيله كل يوم شيئا جديدا.. أو تجعلها كتابا مقدسا تكتب على صفحاته المعارف والفوائد والحكم والمنافع ويغلق للقائيا أمام خربشات الضلال والضياع فتفتح بذلك على عالمها نوافذ للنور ولا تجعله كهفا مظلما تعشش فيه خفافيش الوهم.

- أن تكون طموحة عالية الهمة تريد أن تكون لها بصمة في الحياة ودرجة عالية في الجنة، قال ابن الجوزي: من علامات العقل علو الهمة والراضي بالدون دنيء، وقال الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام.

-أن تنظر في نفسها فتقدر ذاتها وتعظم مواهبها في اعتزاز وتواضع، وتستشعر نعم الله عليها فتشكره وتزداد له طاعة وهو القائل جل شأنه: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾!.

- أن تحدد طموحاتها أهدافا واضحة قابلة للتحقيق، وتضع برامج من أجل ذلك كل سنة أو حتى شهر وتجتهد في تطبيقها، وتحاول وتعيد المحاولة دون يأس أو خيبة.

- أن تتوكل على الله وتستشعر معيته دائما، وتستعين به وتدعوه باستمرار، وتلجأ إليه في لحظات الضعف والفشل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز» رواه مسلم.

-أن تتعلم العلوم النافعة، وتقرأ الكتب المفيدة، تلاحظ سير أحداث الحياة ومجرياتها، تتعلم من قصص الناجحين والفاشلين، تستفيد من الصغار والكبار تتأمل تفكر، تتساءل، فالحكمة ضالة المؤمن.

- أن تستخير الله تعالى في أمورها، وتستشير العلماء والمتخصصين في انشغالاتها واهتماماتها..

-أن تحافظ على مكتسباتها، وتركز على أهدافها واهتماماتها، وتصنع من حولها عالما إيجابيا بصاحبة الناجحات وذوات الاهتمام المشترك، قال: « إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصاحب الأردى فتردى مع الردي».

- أن تدير وقتها باهتمام، ترتب واجباتها الأولى فالأولى، تروح عن نفسها من الحين إلى الآخر ترويحا مشروعا، تتفاءل خيرا، تدعم الخيرين في الأمة أينما كانوا ولو بالدعاء.

- أن تتخلق بكل خلق حسن وتترك كل خلق رديء، تتمنى الخير لكل من حولها، تسابق إلى الخيرات وتحرص على اغتنام كل فرصة تزيدها من الله قربا وترفعها عنده درجات..

يتبع..

أسعاد بعوش

الشيـــخ الشّهيـــد محمد بن ربيـــع

رجـــل العلـم والعمـل

عبد الغني بلقيروس

يقرّ الكثير من الباحثين والمؤرخين أن اندلاع الثورة التحريرية المباركة كان نتاج طبيعي لمصانع إعداد الرجال التي كانت تمثلها المدارس التعليمية الحرة، وكانت البذور التي زرعها علماء ومعلمي تلك المدارس هي التي أينعت ثورة حيرت دهاقنة الاحتلال الفرنسي، بعد أن عملوا أكثر من قرن وربع على مسخ هويته، ومسح كينونته من عقول أبنائه بالتجهيل والتجويع تارة، وبالقتل والنفي تارة أخرى، والكثير من هؤلاء المعلمين لم يكتفوا بجهده هذا، بل بادروا لتصدر ساحات الوغى ليكونوا قدوة في الحياة وفي الممات، ومن هؤلاء الشيخ الشهيد محمد لكبير بن ربيع.

ولد الشهيد محمد لكبير المعروف باسم محمد بن ربيع في 23 فيفري 1906 بقرية (تالا خليفة) التابعة حاليا لبلدية أولاد موسى دائرة بودواو ولاية بومرداس، في أسرة محافظة تتخذ من الفلاحة مصدرا لرزقها، وما أن بلغ الشهيد سن الدراسة حتى ألحق بزاوية بومرداس حيث ختم حفظ القرآن وهو في الثانية عشر من عمره، وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقه وأصوله، ليتوجه بعدها مباشرة إلى جامع الزيتونة بتونس لإكمال دراسته العليا كديدن الشباب الجزائري الطموح للاستزادة من العلم يومئذ.

وفي الزيتونة نهل من معين علمائها الأفاضل الذين كانت تزخر بهم جنباتها، كما تلقح فكره بحقيقة الاستعمار متأثرا بالحراك النضالي الذي شهدته تونس في تلك الأيام، وخاصة المظاهرات الحاشدة التي عرفتها تونس في 1938، ومع بداية الحرب العالمية الثانية في 1939 اعتقلته الشرطة الفرنسية بتونس وجندته إجباريا في صفوف الجيش الفرنسي وخضع للتدريب العسكري في ثكنة قابس قبل أن ينقل إلى خطوط المواجهة بالتراب الفرنسي حتى نهاية خدمته أواخر عام 1941، ليعود إلى مقاعد الدراسة بالزيتونة حتى حصوله على شهادة العالمية، عاد بعدها إلى مسقط رأسه ليساهم في تربية وتعليم بني وقطنه الغارقين في مستنقع الجهل الذي فرضته الحضارة الفرنسية العريقة على الشعب الجزائري المستعمر.

كانت زاوية اسيدي عمر الشريف (بضواحي دلس محط الشيخ في أولى أيام عودته، فجعل منها في فترة زمنية قصيرة قلعة لتخريج الشباب الوطني المتعلم، ولم يكن نشاطه هذا ليغيب على أعين السلطات الاستعمارية الفرنسية وعملائها، وعلى على أعين المعمرين الذين تعددت شكاويهم من نشاط الشهيد الذي بدأ يؤلب عليهم السكان الجزائريين الذين طال سباتهم فيما مضى، وجاءت الشرطة الفرنسية الفرصة بعد مظاهرات 08 ديسمبر 1945، حيث سارعت مصالحها إلى اعتقال الشيخ محمد بن ربيع ومجموعة من رفاقه ونقلتهم إلى معتقل مشرية (ولاية النعامة حاليا) حتى سنة 1946، ولم يزده الاعتقال إلى إصرارا على طريقه في توعية الشعب بوضعيته وتحضيره لنيل حقوقه.

وبعد إطلاق سراحه استقر بالجزائر العاصمة، حتى اتصل به بعض أعيان مدينة الأبعاء (البليدة) وطلبوا منه الإشراف على المدرسة الحرة (الإحسان) والنادي التابع لها بالمدينة، فرحب بالعرض وبدأ فور وصوله في تطبيق برنامج تعليمي مكثف شمل أقسام البنين وأقسام البنات، كما خصص أوقات للتوعية العامة، ودروس محو الأمية، وأشرف على إنشاء فوج كشفي، وتخرجت على يديه في هذه الفترة أفواج من الطلبة قصد بعضهم الزيتونة بتونس والبعض الأخر الأزهر بمصر لمواصلة دراستهم العليا، كما كان الكثير منهم من مفجري وقادة الثورة التحريرية المباركة وعلى رأسهم الشهيد القائد بوعلام وادفل والشهيد سعيد عصماني والشهيد جمال كرطالي وغيرهم كثير.

وكان النادي التابع لمدرسة الإحسان ينظم محاضرات أسبوعية للتربية والتوعية، وكان ينشطها الشهيد بنفسه في أغلب الأحيان، كما كان يحضرها أحيانا الشيخ الطيب العقبي والشيخ أحمد سحنون والمفتي الشيخ الرابحي وغيرهم، وتزوج الشهيد في هذه الفترة من إحدى بنات المناضل محمد تثبيرت من الأبعاء، واستقر بمنزل قرب المدرسة.

ولم يكن هذا النشاط ليخفى على السلطات الاستعمارية وعلى عيونها، فانتهزت تقديم بعض أعوان الاستعمار ورموز الطرقية والشعوذة عريضة مكتوبة وممضاة بثلاثين اسما إلى السلطات الفرنسية المحلية، تحذرها من خطر المدرسة والشيخ محمد بن ربيع على الاستعمار وعليهم ـ العريضة موجودة ببلدية الأبعاء حتى يومنا هذا ـ فأمر النائب العام في خريف 1949 بغلق المدرسة وتوقيف التعليم العربي بها، وتعرضت المدرسة ومنزل الشهيد للتفتيش الدقيق قبل تقديم أوامر الغلق.

عاد بعدها الشهيد إلى الجزائر العاصمة حيث انخرط في سلك معلمي مدرسة الشبيبة الإسلامية التي كان يشرف عليها روحيا الشيخ الطيب العقبي حتى عام 1953، لينتقل بعدها إلى حي رميلي بضواحي بلدية الرافيقو (بوقرة حاليا) ولاية البليدة، تلبية لإلحاح سكان الناحية، فبدأ في التعليم والتوعية بالمنطقة لكن عيون الاستعمار لم تمهله كثيرا فأصدرته السلطات الأمنية المختصة أمرا بإيقافه عن التدريس، ليعود بعدها إلى الأبعاء سنة 1954.

بعد اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954، خافت السلطات الاستعمارية من تأثير الشهيد محمد بن ربيع فأمرته بمغادرة مدينة الأبعاء فانتقل إلى فرنسا حيث أقام عند في منزل الشهيد محمد لوصيف من الأبعاء كما توطدت علاقته بالأستاذ محمود بوزوزو صاحب المنار الذي كان يقيم بفرنسا وكذا ببوزيد العيطلاوي أحد ممثلي الحركة الوطنية بفرنسا، وفي بداية 1956 عاد الشهيد إلى الجزائر وانظم مباشرة إلى الثوار في الجبال بمنطقة دلس حيث ينشط تلامذته في زاوية عمر الشريف بالمنطقة رغم أنه كان يبلغ 50 سنة من عمره، وبعد أشهر قليلة انتقل إلى الناحية الثالثة من المنطقة الأولى للولاية الرابعة بنواحي الأبعاء وأصبح القاضي الشرعي للناحية، وقام بجهود كبيرة للقضاء على العروشية بين سكان المنطقة وتوحيدهم حول الثورة كما رويت عنه صفحات من مشرقة في المحاكمات التي كان يعقدها فمنع العقاب بدون دليل كافي، وكان يشرف على تنظيم أموال الأوقاف في دعم الثورة وفي تعليم العربية والعلوم الشرعية بالمنطقة، كما كان يكتب قصائد بالفصحى والدارجة تمجد الجهاد والمجاهدين، وتشنع على الاستعمار وأعوانه، لا يزال الكثير من رفاقه يحفظ بعضها.

وفي أواخر عام 1957 بينما كان الشهيد يشرف على لقاء في زاوية سيدي خير الدين جنوب الأبعاء، إذ بالقوات الاستعمارية تحاصر المنطقة بعد وشاية من أحد الخونة، فحاول الشهيد الخروج من الحصار عبر واد بن علو إلا أن القوات الاستعمارية حاصرته في الواد ودخلت معه في اشتباك حتى استشهاده، وكعادتهم حمل جنود فرنسا جثة الشهيد فوق مصفحة وطافوا بها في شوارع الأبعاء قبل إلقائها في ساحة المدينة ترهيبا للسكان، لكن تلاميذ الشهيد في مدرسة الإحسان لم يستكينوا وقادوا الثورة بإيمان وصبر حتى أشرقت شمس الحرية في الخامس جويلية 1962، رحم الله الشهيد وأسكنه فسيح جناته.

من وحي ذكـــرى 11 ديسمبر 1960

أ. طارق بن شين

احتفلت السلطات العمومية، خاصة المحلية منها، هذه الأيام بيوم من أيام الوطن الخالدة التي طبعت مسيرة الثورة التحريرية المباركة ألا وهو يوم 11ديسمبر1960، عندما اندفع الشعب الجزائري إلى الشارع بصدور عارية، مثلما سبق له أن استجاب لنداء ثورته خلال إضراب الثلاثة أيام سنة 1957 ليعبر للعالم أجمع أن ثورته لم تفشل ولم تنته مثلما كان يزعم خصومه وأعداؤه، وخاصة قادة جيش العدو وعملاؤه الذين نكلوا بأبنائه رجالا ونساء أسوأ مما كانوا يزعمون ما فعلته بهم وبأسلافهم النازية.

ولو رجعنا إلى أسباب هذه الانتفاضة لوجدناها منبعثة من أعماق الواقع المرير الذي عاناه الشعب جماعات وفرادى بفعل الظلم والاستبداد والتعذيب والتنكيل والتشريد والتقتيل الذي مارسته عليه الطغمة العسكرية بدعمهم المستوطنون شذاذ أوروبا الذين كانوا يتلذذون بتعذيب الإنسان الجزائري وبقتله بشتى أنواع التعذيب والتقتيل إلا أن السبب المباشر لتلك الانتفاضة هو أن قادة الجيش الاستدماري كانوا أقنعوا رئيسهم وكبيرهم الذي كان أمر بإبادة الجزائريين الذين هرعوا إلى الشارع ذات يوم في ماي 1945 يعبرون عن مشاعرهم بانتهاء الحرب العالمية ويذكرون من وعدوهم بحقوقهم وبأنهم كان ثم باع في ذلك النصر.

قلت أن قادة الجيش الاستدماري أقنعوا رئيسهم بأن «النصر» الذي وقع في الجزائر قد انتهى، وأن من قام به من «الفلاقة» قد أبيد وبالتالي ما عليه إلا أن يأتي لزيارة الجزائر ليجني ثمار خطتهم التي قد خططوها لإبادة المتمردين».

وإذا تكلمنا عن زعمهم بأنهم أبادوا المتمردين فلابد من أن نذكر بالخطة التي خططوها ولو بإيجاز شديد حتى نذكر أنفسنا ونبلغ ولو بومضات الجيل الذي «يلوم المجاهدين على إخراجهم فرنسا من الجزائر».

عندما اندلعت الثورة في 1954 كان نظام الحكم في فرنسا نظاما نيابيا تحت عنوان الجمهورية الرابعة وبالتالي فالحكومة كانت مسؤولة أمام الجمعية الوطنية، أي ما يقابل المجلس الشعبي الوطني في الجزائر، وليس أمام الرئيس كما هو الحال عندنا وعليه عندما قويت أعمال المجاهدين واستحال أمر القضاء عليهم وإرجاع الهدوء والسكينة إلى الجزائر "على حد تعبيرهم- مثلما كانت وعدت به الحكومة التي كانت قائمة آنذاك الشعب الفرنسي والجمعية الوطنية، أسقطها هذا المجلس الوطني في بداية جانفي 1955 رغم أنها لم تنتخب إلا في جوان 1954، وكان من المفروض أن تبقى قائمة طيلة عهدة الجمعية الوطنية وهي 5 سنوات، وعندما استفحل أمر الثورة خاصة بعد واقعة 20 أوت1955، زادت سقطت الحكومة التي كانت تولت زمام الأمور في جانفي 1955، ولقد توالى سقوط الحكومات بحيث بلغ عددها من نوفمبر 1954 إلى ماي 1958، ست حكومات من نفس عهدة الجمعية الوطنية وكان كما تقدم الأيام ازدادت معها الثورة ضراوة وصلابة ومتانة في الداخل وصيتا في الخارج، وكانت كلما توسع صيتها في الخارج كثر أنصارها والمعجبين بها وبرجالها، فأدى ذلك إلى ضيق الخناق على السلطات الفرنسية، واهتز اقتصادها واضطرب ساستها واستحال عليها الخروج مما أسموه «بالمستنقع الجزائري» ففكر بعضهم وخاصة القادة العسكريين في اللجوء إلى من يسمونه «برجل جوان 1940» الذي أنقض فرنسا من الانهيار أمام الجيش الألماني وأخمد انتفاضة الجزائريين في ماي 1945»، فجيء به فعلا وكلف بتأسيس حكومة في جوان 1958، وفي سبتمبر قدم تشكيلته للجمعية الوطنية فصادقت له عليها، وكان اختار أعضاءها من رجاله خاصة أولئك الذين كانوا رفاقا له خلال تنظيمه المقاومة ابتداء من جوان 1940.

وأول عمل قام به الرئيس الجديد هو تغيير الدستور فغير طبيعة النظام من نيابي، أي أن رئيس الحكومة تعينه الجمعية العامة ويكون مسؤولا أمامها، إلى رئاسي يكون الرئيس مسؤولا أمام الشعب الذي ينتخبه وجعل العهدة الرئاسية سبع7سنوات لتوقعه أن الثورة الجزائرية لن تخمد في سنوات قليلة وبالتالي أعطى لنظامه الوقت الذي قدر أنه كان ضروريا لإخمادها.

أما ثاني عمل قام به هو إعداد خطة شاملة لإخماد الثورة الجزائرية وقسمها إلى ثلاث جوانب الجانب السياسي، الاقتصادي، وأخيرا العسكري وهو الأهم.

أولا الجانب السياسي: قام بإعطاء استقلال لحوالي 19 بلدا إفريقيا منها: موريتانيا، السينغال، ومالي، ونيجر، وتشاد، ووضع على رأس كل دولة من هذه الدول الناشئة أشخاصا موالين لفرنسا غالبيتهم عسكريين بجيش فرنسا، ليكونوا أنصارا سياسيين مناصرين لفرنسا في المحافل الدولية خاصة الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، ثم سحبت الجيوش الفرنسية التي كانت مرابطة في تلك الأقاليم، وجاء بها إلى الجزائر أسوة بمن سبقه في ساسة بلده عندما أعطوا الاستقلال سنة 1956، إلى كل من المغرب وتونس بحيث بلغ عدد أفراد الجنود الفرنسيين في الجزائر لإخماد ثورتها بالقضاء على «الفلاقة» أي المجاهدين 950000 جندي حسب مصادر عسكرية فرنسية، بالإضافة إلى 400000 ما بين حركة وقومية، يضاف إلى كل ذلك البوليس والجدارمة والعملاء.

ثانيا الجانب الاقتصادي: أعد النظام الجديد خطة أطلق عليها عنوان «مخطط قسنطينة» ترمي إلى صرف الشباب الجزائري عن الثورة حتى لا يلتحقوا بصفوف المجاهدين تتمثل في إحداث «قرى فلاحية» توزع فيها قطع أراضي فلاحية على الشباب وكذا جمع العائلات، التي كانت مستقرة أصلا أبا عن جد في الأرياف وخاصة تلك التي كانت في الجبال، في شبه محتشدات مسيجة بالأسلاك الشائكة يحرصها العساكر لإبعادهم عن محيط المجاهدين لكونهم هم الذين كانوا مصدر قوت المجاهدين واحتياطهم، وقد كان الشباب هو رصيد الثورة في حالة استشهاد مجاهد يحمل سلاحه شاب آخر من أبناء شعب تلك القرى، وأحيانا من أبناء المدن، وعبر عن الخطة بـ «إفراغ البحيرة من الماء فينكشف الحوت ويختنق».

ثالثا الجانب العسكري: قسم النظام الجديد الجزائر إلى 6 مناطق قتال على غرار تقسيم الثورة، وقد كانت مقسمة إلى 6 ولايات وجعل لكل منطقة قيادة ميدانية مستقلة بصلاحيات قتالية مطلقة مزودة بكل ما تقتضيه حرب بأتم معنى الكلمة من عدة وعتاد فاستحضرت سلاح الحلف الأطلسي من طيارات بجميع أنواعها ومدافع بمختلف العيارات ودبابات ومصفحات، وأسلحة جماعية وفردية إذ لم يكن من سلاح القتال الفرنسي إلا نوع واحد وهو سلاح الرشاش الفردي (ماط49)، أما من ناحية العمليات القتالية البحتة فقد أغلقت الحدود الشرقية مع تونس والغربية مع المغرب بخط من الأسلاك الشائكة المكهربة مقامة على أوتاد من حديد ارتفاعها يفوق المتر، وزرع ألغام أرضية مغمورة في الأرض تنفجر لأدنى حركة فتفتك بمن حولها فتكا.

مع اختتام القمة الخامسة عشرة للمنظمة الدولية للفرنكوفونية

عالمنا العربي بين ضجيج دعاة الفرنكوفونية وحقائق محنة التعريب [1]

محمد مصطفى حابس - جنيف/ سويسرا

مع اختتام القمة الخامسة عشرة للمنظمة الدولية للفرنكوفونية أشغالها يوم الأحد من الأسبوع المنصرم في العاصمة السنغالية دكار، باعتماد سلسلة من القرارات «المهمة» حسب بيانها الختامي، حتى ولو أن الجزائر ليست عضوا كامل العضوية في المنظمة الموقرة، إلا أنها عُدّت «أول بلد فرنكوفوني» بعد فرنسا، حسب تقرير البرلماني الفرنسي الأخير، وبالتالي تيقنت حينها أن استقلال دولنا العربية يبقى منقوصا، إذا لم يتوج بالاستقلال الثقافي واللغوي، ومستوانا العلمي يبقى ضحلا وتابعا إذا لم يتأصل في اللغة الوطنية، وثوراتنا الثقافية تبقى هي الأخرى عرجاء إذا لم تستند بثورة ثقافية عامة ولغوية خاصة.

وفضلا عن انتخاب مرشحة دولة عظمى ككندا، أمينة عامة جديدة للمنظمة خلفا للرئيس السنغالي الأسبق عبدو ديوف، وهي السيدة ميشال جان التي تشغل منذ 2010 منصب المبعوث الخاص لمنظمة اليونيسكو الى هايتي، بلدها الأصلي. وقد أقصت بـ«كنديتها» أربعة مترشحين آخرين لهم وزن سياسي كبير في دول العالم الثالث، هم الرئيس البوروندي بيير بيبويا والوزير الأول الموريسي جون كلود دو ليسترك وسفير الكونغو بباريس الكاتب هنري لوبيز وأوغستين نزي نفومو من غينيا الاستوائية.

وميزت أشغال هذه القمة التي انعقدت تحت شعار «النساء والشباب في الفرنكوفونية: عوامل سلام وفاعلون في التنمية»، بأجواء توجس بين القادة الأفارقة، بعد كلمة الرئيس الفرنسي، التي أكد فيها على أن «الحكم مدى الحياة وبعهدات متعددة متكررة دون رغبة الشعوب، قد ولى عهدها. والتعنت في الكرسي قد يوصل بعض دولنا الفرنكوفونية إلا ما لا تحمد عقباه». يأتي ذلك على خلفية الثورة «الشعبية» الأخيرة في بوركينا فاسو التي أطاحت بالرئيس بليز كومباوري بعد حكم استمر 27 عاما، ومشيرا أيضا إلى ما تواجهه دول غرب إفريقيا من أزمة داء «إيبولا» وأزمات أخرى منها الاقتصادية والبيئية والأمنية، متناسيا أن المهمة الأساسية المعلنة للمنظمة الدولية للفرنكوفونية تتمثل في تنظيم «العلاقات السياسية والتعاون بين الدول التي يجمع بينها استخدام اللغة الفرنسية» لا غير.. وقد كان الهدف من تأسيس المنظمة الدولية للفرنكوفونية هو «الدفاع عن توسع اللغة الفرنسية عبر العالم». كما تجلى ذلك بوضوح في مؤتمر القمة الفركوفونية الأول الذي عقد في باريس ما بين 17 و 19 فبراير 1986، وحتى منذ تأسيس الحركة الفرنكوفونية رسمت هدفا مركزيا هو «حماية اللغة الفرنسية من عدوان اللغة الإنجليزية و تطلعاتها نحو الهيمنة على المبادلات الدولية».

محطات في مسيرة الفرونكوفونية

تاريخيا، لم تكن الفرنكوفونية بادئ ذي بدء سلاحا ثقافيا أو سياسيا فرنسيا موجها إلى الخارج، بقدر ما كانت أحد عوامل وحدة الأمة الفرنسية المتعددة القوميات (البروتون والنورماند والالزاس واللورين والكورسيك وسكان غرب ايطاليا)، وهكذا أصبحت حالة من حالات «الأمة/ اللغة»، بالإضافة إلى توحيدها داخل سوق واحد بالمعنى الرأسمالي. وكان حكام فرنسا قبل الثورة يصحبون معهم مترجمين عند التجوال في المقاطعات. بعدها حملت اللغة الفرنسية مضامين الثورة الفرنسية عن «الحرية والإخاء والمساواة». وهكذا نشأ هاجس اللغة في فرنسا، وانتقلت تلك الأغراض إلى مناطق المستعمرات. وهنا تحولت الفرنكوفونية إلى سلاح حيوي عالمي.

ولو حاولنا الوقوف على أهم المحطات الرئيسية في مسيرة الفرونكوفونية، ندرك أنها فعلا أصبحت قوة جيوستراتيجية ناعمة، سيف ذو حدين، بحيث تم تأسيس جمعية لكتاب اللغة الفرنسية عام 1926التي تضم حاليا ألف مؤلف. وتأسيس هيئة الجامعات الفرنسية في عام 1961 التي انبثقت عن الوكالة الجامعية للفرنكوفونية التي تضم اليوم 800 مؤسسة في حوالى 100 بلد. وفي عام 1970 جاءت فكرة قيام «منظمة فرنكوفونية» أطلقها قادة الجنوب - خصوصا السنغالي ليوبولد سيدار سنغور والنيجيري ديوري همانى والأمير سيهانوك من كمبوديا والتونسي حبيب بورقيبة- وتشكلت مع وكالة التعاون الثقافي والتقني التي انبثقت عنها المنظمة الدولية للفرنكوفونية.

أبرز الأرقام المتعلقة بالفرنكوفونية في العالم، نذكر: من

- الفرنكوفونية تؤكد حاليا وجود 274 مليون شخص ناطق بالفرنسية بينهم 54,7 % في إفريقيا و36,4 % في أوروبا و7,6 % في أمريكا والكاريبي و0,9 % في الشرق الأوسط و0,3 % في أوقيانا.

- الفرنسية خامس لغة الأكثر تداولا في العالم، بعد الصينية والانكليزية والأسبانية والعربية أو الهندوسية وفقا للتقديرات. وهي ثاني لغة في الاتحاد الأوروبي.

- 29 دولة تعترف في دستورها باللغة الفرنسية كلغة رسمية منها 13 كلغة رسمية وحيدة و16 كلغة رسمية مع اللغة الأم.

- حوالي 125 مليون شخص يتعلمون الفرنسية، بينهم 49 مليونا يدرسونها كلغة أجنبية.

- تضم المنظمة الدولية للفرنكوفونية ومقرها باريس 77 بلدا ومنطقة منها ثلاث دول شريكة و20 مراقبة معظمها من القارة الأفريقية. ويمثل هؤلاء تقريبا 900 مليون نسمة.

- بحسب توقعات الفرنكوفونية، سيعيش نحو 85 % من 700 مليون فرنكوفوني في 2050 في إفريقيا. - وفي أوروبا التي كانت تضم حوالى نصف الفرنكوفونيين في العالم في العام القين لن يكون هناك أكثر من 12 بالمائة من هذا العدد.

الفرنكوفونية دهاء وخبرة في اختراق الآخر باسم «تبادل الخبرات والمصالح»

وبالتالي بهذه الأرقام يمكننا الجزم بأن فرنسا استطاعت بدهائها وخبرتها الطويلة، وبفضل تلاميذها الذين كونتهم وعملائها الذين احتضنتهم اختراق نظم التربية والتعليم في عالمنا العربي، وانتهاج سياسة تعليمية هدفها فَرْنَسَةُ الأجيال الناشئة، وإفراغها من قيمها الدينية والحضارية ليسهل دمجها في إطار دولة (فرنكو - علمانية) منعزلة تماما عن تاريخها وحضارتها العربية الإسلامية، وتصبح من ثمّ أداة تحكم في المجتمع، تعيد تكوينه وتقرر مصيره كجزء لا يتجزأ من مستعمراتها الإفريقية.

والواقع أن إخفاق السياسات الحكومية المتلاحقة في توطيد تعليم وطني مستقل في دول مغربنا العربي، يؤكد أن الوجود الفرنسي أصبح متغلغلاً في المجال التعليمي وأقوى مما كان عليه زمن الاستعمار في بعض المواقع الحساسة، وأن «مستعمر» اليوم بثوبه القديم المتجدد، لم يتخل عن فرض نفسه ليس شريكا لنا في تعليمنا وثقافتنا فحسب، بل سيدا أو قل لاعبا فريدا في ميداننا وعلى ترابنا وفي عقر دارنا، باسم «تبادل الخبرات» حينا و«المصالح المشتركة» أخرى، باعتبار أن اللغة الفرنسية ـ حسب بعض التبع ـ تمثل نموذجا لسانيا كاملا بذاته، قوامه «التقنية والعلمية والعقلانية». وهو ما من شأنه أن يساهم في عقد قران «زواج المكره» بين ثقافتين مختلفتين قلبا وقالبا. وهكذا أصبح السفر إلى باريس عقيدة وحجا، كما هو الحال في مثل هذه الأيام مع أعياد رأس سنة الميلادية.

ومع مر السنين والتطور الإعلامي والبث التلفزي المباشر الذي يخترق كل الحدود سمح بانتشار تقليد الفرنسيين والغربيين عموما مظهرا وسلوكا في اللباس وحلاقة الشعر وتسريحه، وغاذج سلوكية غريبة، وتقليد بعض الفنانين وبالتالي تصبح الفرنسية، لغة التخاطب لجميع هؤلاء المستلبين حضاريا وتراثيا، على قلة زادهم اللغوي وركاكته أحيانا كثيرة.

نفهم من هذا الكلام أن الفرنكوفونية تحركت قبل الاستقلال وبعده ضمن الثوابت نفسها التي انطلقت بها السياسة الاستعمارية لبلداننا، وأن فلسفتها هذه قد شكلت منذ زمن بعيد؛ فهي ترى أن حضورها اللغوي والثقافي يضمن لها تلقائيا استمرار نفوذها السياسي والاقتصادي، ولذلك نجدها قد أسرعت إلى توجيه عقول بعض نخبنا عن طريق ترسيخ سياسة لغوية تعليمية قائمة على فرنسة الأجيال الصاعدة، هدفها الأساسي القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة حضارة عريقة وتراثا إنسانيا خالدا.

وهكذا تم تحويل دول مغربنا العربي تدريجياً بفضل سياسة ازدواجية اللغة إلى شمال إفريقي فرنكوفوني بعدما حُرم أبناؤه من الازدهار والنمو الطبيعي في إطار ثقافتهم العربية وهويتهم الإسلامية.

اللائكية سبب إخفاق الفرنكوفونية في بعض دولنا المغاربية

أما بخصوص إخفاقها في المجال الديني فسببه لائكية عرجاء حاولت أن تلوك مبادئها لبعض صغار العقول بعد مد وجزر ومضغ وعسرة هضم؛ أخبث ما نراه اليوم عند الأجيال الصاعدة من ضعف في القيم الخلقية والروحية أبعدتهم عن منابع الإيمان وتوجيهات الوحي فأصبحت قلوبهم خواء وأفئدتهم خلاء لا يجمعها رباط ولا توحدها غاية. ولفهم ذلك، لا بأس أن ننقل هنا كلمات طيبة للدكتور فريد الأنصاري، تبين عمق الاختراق الذي أحدثته سياسة الفركوفونية هذه في بلده، المغرب الشقيق، نقلا عن كتاب «الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب». ص 47 ـ 48، يقول رحمه الله: (لعل أهم ما يمكن رصده في المجالين التعليمي والثقافي هو السيطرة الفرنكوفونية على الوضع مطلقا؛ فالتعليم لم يستطع أن يتخلص من عقدة اللغة الفرنسية، وإنه من العار أن تكون هذه اللغة المتخلفة لا تزال تتحكم في رقاب التلاميذ منذ عهود الاستعمار إلى يومنا هذا. وقد أصبحت هذه اللغة المتخلفة حقا في ركام الماضي، وها هم أهلها اليوم عالة على الكلمات والمصطلحات الإنجليزية، ولست ههنا مفضلاً لهذه على تلك، وإنما أجزم أنه من الخطر التربوي والنفسي على الطفل أن نحشى ذاكرته بأي لغة غير لغته الأصلية التي تحمل هويته الثقافية والدينية في مرحلة الطفولة حتى يبلغ سن الرشد القانوني، فيتفرغ حينئذ لما شاء بعدما يكون قد أتقن لغته استعمالا وإلهاما وإبداعا... إن مناهج التعليم المزدوجة هذه هي التي خلقت لنا طبقة المثقفين المنحرفين وبعض الأدباء الإياحيين: فلا تقرأ في المغرب من الشعر والرواية إلا ما يُمَجِّدُ السقوط ويكشف العَورات، حتى أصبح (الجسد) لغة في حد ذاته لا يكاد يخلو منها إبداع شعري أو سردي. ألا ترى هذا السباق المحموم نحو النعري بين المسمين (مبدعين)؟ فيقدر جُرأتك على المحرّمات والمقدّسات والتعري بقدر ما تكون من العظماء والمجددين. أما العالمية فهي بين أمرين: إما أن تكتب بالفرنسية، وإما أن يقيض الله من يترجم لك إلى الفرنسية! حتى إذا اطلع السادة الفرنسيون على قدر ما (كشفت) من مخبوء، يكون حينئذ من الإطراء ما يكفي لرفع مستواك إلى صف العالمية طبعا من خلال دائرة الفرنكوفونية..».

أما اليوم، وفي ظل النظام العالمي الجديد تقدم الفرنكوفونية نفسها للدول الإفريقية بديلا حضاريا، ومشروعا سياسيا واقتصاديا وثقافيا ترعاه دولة فرنسا «البنت الكبرى للكنيسة»، وتسعى إلى توظيفه كسلاح تشهره في وجه العولمة؛ لتضمن به بقاءها على الساحة الدولية، وتفتح من خلاله فضاءات لإنعاش اقتصادها وتعزيز موقعها في وجه النزعة الأنجلو - أمريكية، ويحتل نظام التربية والتعليم ضمن هذا التوجه موقعا أساسيا كخطة تعتمدها فرنسا لبسط فرنكوفونيتها؛ ولذلك فهي تعمل في كل الاتجاهات، وبكل الوسائل للنهوض بلغتها وحماية ثقافتها في مختلف مَحمياتها ومستعمراتها الإفريقية التي ترى فيها امتداداً لوجودها. ومن أهم المشاكل التي تواجه الفركوفونية اليوم، ما يعبر عنه في تقرير جديد ضخم في 200 صفحة، نشرته اللجنة الشؤون الخارجية بالبرلمان الفرنسي وأشرف عليه كل من البرلماني الفرنسي فرانسوا روشبلوان من حزب الحاد الديمقراطيين الأحرار، والبرلماني اليساري أمير شاه بورية، فرنسي من أصول إيرانية، نتطرق إليه لاحقا بموضوع مستقل بحول الله في فصل خاص حول الفركوفونية والتعريب في الجزائر.

منطقة الشرق الأوسط وضعف الدراسات الأكاديمية الأمريكية حولها

أ. منصف بوزفور

كان حسن حنفي يرى أن الإسلام والغرب تقابل مفتعل يحل المشكلة قبل تشخيصها ويثبتها قبل أن ينفيها.

وبالنسبة إليه تقابل خاطئ بين دين وحضارة وثقافة من ناحية وهو الإسلام ، ومنطقة جغرافية حوّلت إلى صورة أو رمز أو مثال من ناحية أخرى وهو الغرب والإسلام حضارة يعيش فيها النصارى واليهود كأحد روافدها والمكوّنين لها ، ساهم فيها العرب والعجم والروم والهنود والصينيون والآسيويون قديما كما ساهم فيها الغربيون والأمريكيون والأفارقة حديثا.

وهو ينكر التقابل بين الإسلام والغرب ، فالإسلام في الشرق وفي الغرب ، وفي آسيا وفي أوروبا. ويقصد «د.حسن حنفي» انتشار الدين الإسلامي عبر العالم ، وانتشار نموذج الحضارة الغربية شرقا وغربا. فهناك إذن تداخل عمراني وثقافي في آن واحد. فالإسلام هو الدين الثاني في الغرب بعد المسيحية. ونصارى الشرق هم الذين وضعوا النصرانية قبل أن يضعها المسيحيون في الغرب. والكنيسة الشرقية أكثر امتدادا في التاريخ من الكنيسة الغربية.

ومن جهة أخرى هناك أصولية مسيحية تدافع عن حقيقة المسيحية. ولا تعترف بكل التراث النقدي التنويري للدين، وتنسّق مع الأصولية اليهودية لتأكيد العهد وأرض الميعاد وتحقيق الوعد الإلهي والاصطفاء لبني إسرائيل.

ويذهب «د.حسن حنفي» إلى أن حوادث العنف الأخيرة، والعنف المضاد، وتدمير مركز التجارة العالمي وجزء من بناء البونتاغون ، والعدوان على الشعب الأفغاني بالرغم من الضحايا الأبرياء من الطرفين فإنها صدمة لكل الأطراف وربما هي نقطة تحول في تاريخ العالم .

ولقد ظنّت الولايات المتحدة أن العدو من الخارج. واستعدّت له بحرب النجوم ودرع الصواريخ العابرة للقارات. وحشدت أضخم ترسانة عسكرية لصالح المجمع الصناعي العسكري. فجاء العدو بخيال سياسي أوسع.

وجاء في المجلة الدولية في عددها المائة والأربعة والخمسين مقال للدكتور أحمد سليم لبيرن عن 11 سبتمبر 2001 ومسؤولية العلوم السياسية في الجامعات الأمريكية بأن أحداث 11سبتمبر قد أثارت نقدا ذاتيا في داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة داخل الأجهزة الأمنية الأمريكية من الاستخبارات الأمريكية ومكتب التحقيقات: لقد أثّرت الأحداث في الإستراتيجية الأمريكية، وأدّت إلى تحول في مفهوم نظرية الأمن القومي الأمريكي، واتّسعت دائرة النقد الذاتي إلى المؤسسات الأكاديمية والجامعات الأمريكية وخاصة أقسام العلوم السياسية فيها.

وحمّل بعض العلماء أقسام العلوم السياسية مسؤولية الأحداث وذلك لعجزها عن تقديم التحليل السياسي الموضوعي لظواهر سياسية وتحديد التحدّيات وأسبابها وكيفية مواجهتها. فهذا «لاري زيموند»يرى بأن العلوم السياسية عليها واجب والتزام أمام العالم لمواجهة التحدّي وتغيير أولوياتها واتّجاهاتها الدراسية.ويظهر أن الأوساط الأكاديمية المختصة الخاصة بالمنطقة العربية، جاهلة بواقع المنطقة، أو هي لا تكترث كثيرا لها رغم استغلال الولايات المتحدة لبترول الخليج.

وهذا أمريكي آخر هو «جوزيف ستيغليتز»الذي عدّد خيبات العولمة يقول: إن الاعتداء البربري الذي جرى يوم 11 سبتمبر 2001 قد ذكرنا بأننا نعيش جميعا على كوكب واحد. نحن أسرة عالمية . وكما هي الحال في جميع الأسر، علينا أن نتقيّد بقواعد كي نتمكّن من العيش معا: ويجب أن تكون هذه القواعد منصفة وعادلة، وأن يكون هذا ظاهرا بوضوح. يجب أن تولي هذه القواعد كل العناية اللازمة للفقراء كما للأقوياء، وأن تبرهن عن إحساس بالاستقامة وبالعدالة الاجتماعية.في عالم اليوم، يجب أن تحدد هذه القواعد بأساليب ديمقراطية. إن القواعد التي تسوس عمل السلطات والمؤسسات الحكومية يجب أن تضمن أنها تُصغي وتستجيب لرغبات وحاجات كل أولئك الذين تتناولهم التدابير والقرارات التي تتّخذها.

وهكذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة ل«جوزيف ستيغليتز»قد جنت على نفسها وما كانت أحداث 11 سبتمبر لتكون لولا السياسة الأمريكية ذاتها.

لقد أشار «ستيغليتز» بحق إلى خيبات العولمة. كما أشار إلى البيروقراطيين الدوليين باعتبارهم رموزا مغفلة للنظام الاقتصادي العالمي المعاصرة في كل مكان. فالاجتماعات التي كانت كامدة فيما مضى لهؤلاء التكنوقراط الغامضين ، حول مواضيع غير مشوّقة كالقروض الامتيازية والخصص، أمست مسرحا لصراعات مستميتة في الشارع ولتظاهرات هائلة. أما تلك التي رافقت اجتماع منظمة التجارة العالمية في «سياتل» سنة 1999، فقد كانت صدمة. وبعدها ازدادت الحركة اتّساعا وعنفا.

إن كل الاجتماعات الهامة لصندوق النقد الدولي وللبنك الدولي للتنمية ولمنظمة التجارة العالمية باتت تُؤدي عمليا إلى مجابهات واضطرابات.

ألا تكون أحداث 11 سبتمبر إذن ناجمة عن هؤلاء البيروقراطيين وعن هذه المؤسسات الدولية؟

وأن الذي يتسبب فيها قد يكون من هؤلاء الإسلاميين الذين أعلنوا الحرب على أمريكا نفسها وقد يكون غيرهم من العلمانيين أو العدميين أو عن هؤلاء الشيوعيين

الذين تمكّن منهم رعب فائق وهم يرون الشيوعية نفسها تسقط من دون أن تجد مدافعا واحدا يقف لحمايتها.

لقد اهتم «ستيغليتز» بجمع سلبيات العولمة، ومنها ما حدث حين تدمير مركز التجارة العالمي وجزء من البونتاغون.

لكن الذين ذهبوا إلى خطورة اتّهام العولمة والمؤسسات الدولية، فسّروا الأمر تفسيرا آخر ، وهو أنه يحدث في هذه الظروف التاريخية الحرجة صدام بين الحضارات، وأشاروا إلى خطورة الإرهاب الإسلامي كما أشاروا إلى أن الولايات المتحدة قد تجاهلت المنطقة العربية.

ويذكر د «أحمد سليم البرهان»ان الاهتمام الأكاديمي بالشرق الأوسط قد بدأ في الأربعينيات من القرن العشرين . وقد ارتبط هذا الاهتمام بالمصالح الأمريكية. بعد أن أصبحت الولايات المتحدة زعيمة العالم الرأسمالي وخرجت من عزلتها وأصبحت دولة ذات فعالية على الساحة الدولية لتحل محل الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية .

وتأسس مركز دراسات الشرق الأوسط. وأصدر مجلّة فصلية هي «فصلية الشرق الأوسط». وتراجع الدور الأوروبي في المنطقة ليحل محله الدور الأمريكي. وظهر مهتمّون بالشرق الأوسط أطلق عليهم المستعربون. وانتشر هؤلاء في الدوائر الرسمية سواء في الخارجية الأمريكية أو في الاستخبارات. وكان لهم دور بارز في صناعة القرار السياسي بالشرق الأوسط. وهندسة بعض الانقلابات العسكرية ومنه الانقلاب الذي جرى ضدّ «محمد مصدق» رئيس وزراء إيران.

وظهر كتاب الاستشراق لـ«إدوارد سعيد»الذي لقي صدى كبيرا في الأوساط الغربية التي تميّزت بالإثنية والعنصرية.

ووجدت دراسات الشرق الأوسط بعض المصداقية ، مما أقلق التيّار المؤيّد لإسرائيل. ولقد نبّه «كيم روزفلت» سنة 1949 إلى خطورة إقامة إسرائيل على الاستقرار والأمن في منطقة الشرق الأوسط بقوله: إن الاستقرار لا يمكن أن يتم في المنطقة بدون حل الصراع العربي الإسرائيلي خاصة قضية اللاجئين الفلسطينيين.

ولو رجعنا إلى طائفة المستعربين الأمريكيين نلاحظ أنهم في البداية يركّزون على المصالح الأمريكية، وأن إسرائيل ستهدّد تأييد هذه المصالح على المدى البعيد.

لكن ظهر فيما بعد تيار من هؤلاء المستعربين مؤيّد لإسرائيل. ويهاجم المستعربين تحت شعار العداء للسامية ويدعّم التيّار الصهيوني وقد برز بقوة بعد انتخاب «رونالد ريغن»رئيسا عام 1980. وتراجعت دراسات الشرق الأوسط من قبل الدوائر الرسمية الأمريكية. إلى جانب الموقف السلبي الذي تقفه الولايات المتحدة من الشرق الأوسط ومناصرتها اللامحدودة لإسرائيل.

كما أن ثقافة المواطن الأمريكي عن المنطقة العربية والإسلامية قد وصلت إلى حد الكراهية والسلبية لثقافة العرب وحضارتهم. وذلك لفشل المتخصصين في تثقيف المواطن الأمريكي بالمنطقة. ومن ناحية أخرى، فإن الجانب الأكاديمي المؤيّد لإسرائيل مراكز الأبحاث التي يهيمن عليها هؤلاء المؤيدون والتي تموّل من قبل اللوبي الصهيوني مثل مركز واشنطن لدراسات الشرق الأدنى قد شنّت حملة أكاديمية للتأكيد على فشل دراسات الشرق الأوسط. وصبّوا غضبهم على الإسلام السياسي.

لقد كشفت أحداث 11 سبتمبر 2001 أن أقسام العلوم السياسية بالجامعات الأمريكية تعاني بشكل كبير من غياب الاهتمام بالشرق الأوسط. ووصل هذا إلى حدّ الإهمال والتجاهل التام في هذه الأقسام لدراسات الشرق الأوسط.

وهناك لا شك أسباب لهذا الإهمال. كما هناك أسباب أخرى لحفظ القيمة الإستراتيجية لإسرائيل حتى بعد سقوط الاتحاد السوفياتي.

ثمّ إنّ العداء الموجه للإسلام السياسي وللحضارة العربية هو أمر آخر يهتم اللوبي الصهيوني وسيهتم على الدوام على تكريسه في الثقافة الأمريكية.

مثل العلم كمثل الغيث

بدأ العلم مع العقل. وما كان العلم ليتأسس من دون نهج علمي.

وما كان النهج العلمي ليفيد في تعليم الأشياء التي تجهلها الإنسانية فحسب، بل يفيد أيضا في تعليم الفرد أشياء تعرفها الإنسانية ويجهلها الفرد.

وكما يقول «جان فوراستييه»في كتابه «معابير الفكر العلمي» أن للنهج العلمي مدى يمتدّ من العالم إلى الانسان المتوسّط . ومن الميكانيكا الموجبة إلى الأحداث المبتذلة للحياة اليومية. فليس هناك مجالان منفصلان : مجال العلم ومجال الحياة والنهج العلمي ليس تقنية خاصة بذوي الاختصاص كما يختص خبراء التأمين بنظام الاحتمالات، والقضاة بالقانون، وعلماء الآثار بالآثار. بل هو أحد الوسائل المعطاة لكل إنسان ، وأكثر هذه الوسائل سهولة وضمانا لمعرفة العالم الذي أنتظم فيه الانسان : الكون والأرض والنباتات والحيوانات والأشخاص.

ودائرة العلم بالنسبة إليه ليست مقتصرة على علم الفلك والكيمياء والفيزياء الكمية ، وعلى أسرار الكون والمادة وغوامض الحياة العميقة، بل تشمل كل الواقع الملموس.

والنهج التجريبي ينطبق على وصف الكواكب وعلم مكوّنات المادة كما ينطبق على كل وقائع وأحداث الحياة اليومية لكل إنسان حي.

وهكذا فإن النهج العلمي لا يكون في صالح المجتمع وحده، بل في صالح في كل فرد منا لاكتساب التقنيات التي ستساعده على معرفة الواقع معرفة أفضل وامتلاك ناصية ذلك الواقع امتلاكا متينا.

ولو عدنا الى فوائد «ابن القيم الجوزية» نراه يعرّف العلم على أنه نقل صورة المعلوم من الخارج ، وإثباتها في النفس والعمل على نقل صورة علمية من النفس وإثباتها في الخارج . فإذا كان الثابت في النفس مطابقا للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح.

ثم إن ما هو مطابق للحقيقة عند «ابن القيم» نوعان : نوع تُكمل النفس بإدراكه والعلم به وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وكتبه وأمره ونهيه.

والنوع الثاني لا يحصل للنفس به كمال وهو كل علم لا يضر الجهل به ولا ينفع العلم به.

وأفة العلم عدم مطابقته لمراد الله الديني الذي يحبه الله ويرضاه ن ويكون من فساد العلم تارة ومن فساد الإرادة تارة .

وصحة المعرفة وصحة الإرادة لا تُستخلص من العلم، بل من الإيمان.فالإيمان واليقين يورثان صحة المعرفة وصحة الإرادة. والإيمان له ظاهر وباطن . وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح . وباطنه تصديق القلب وانقياده محبّته.

والعلم آلته العقل ... فماذا عسى يكون العقل؟

لقد اختلف الناس في ماهية العقل اختلافا كثيرا. فقال قوم هو ضرب من العلوم الضرورية وقال آخرون هو غريزة يتأتى معها إدراك العلوم.

وقال آخرون هو قوة يفضّل بها بين حقائق المعلومات. وقال آخرون هو جوهر بسيط . وقال آخرون هو جسم شفّاف.

وقال الحارث المحاسبي انه نور .

فكأن العالم بغض النظر عن مادّته مادة للهداية والاهتداء، وشمعدان من نور يحارب بها قوى الظلام.

ولو عدنا إلى ابن القيم الجوزية في كتابه «مفتاح دار السعادة » فقد كان يقول : لما كان العلم إمام الإرادة ومقدّما عليها ومفصلا لها ومرشدا لها قدّمنا الكلام عليها على الكلام على المحبة .

وهكذا يرى أن العلم حياة ونور والجهل موت وظلمة.

وفي حديث لأبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله (ص) إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.

وهكذا شبّه الرسول(ص) العلم والهدى الذي جاء به بالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد ، فإنها بالعلم والمطر، وشبه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر لأنها المحل الذي يمسك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع ، كما أن القلوب تعي العلم فينتفع فيها ويزكو وتظهر بركته وثمرته. ثم قسّم الناس الى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حكمه وفوائده.

وحدّث أبو الدرداء(رضي الله عنه) قال:سمعت رسول الله (ص) يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضا .. وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

وإذا كان العلماء ورثة الأنبياء فهذا أفضل المناقب . ونحن ما أردنا أن نأتي على ذكر ما قيل في العلم عند «ابن القيم الجوزية» إلا لعدم تفريط هذا الكاتب فيما ذُكر حول العلم عند المحدّثين ورجال الدين

وقد دعا أهل العلم الى تربية الأمة . كما يربّي الوالد ولده فيربّونهم بالتّدريج والترقّي من صغار العلم الى كباره.

وأرواح البشر بالنسبة الى الأنبياء والرسل كالأطفال بالنسبة الى آبائهم تبدو كلمة العلماء لفظة عامة، تحمل أكثر من دلالة. بل إنها توحي أكثر من معنى بالنسبة لابن القيم الجوزية وعلماء الإسلام. فمن هو العالم؟

أليس العالم هو من يبلغ مرتبة الأنبياء بعلمه؟

أليس العلم كمثل غيث أصاب أرضا ميّتة فأحياها؟

فالعلم هنا هدى. وإذا كان الغيث يُنبت سائر أنواع النبات، فإن العلوم واختلافها هي كمثل اختلاف هذا النبات.

ويظهر أن المعنى العام الشامل للعلم هو الذي أراد إثباته «ابن القيم»وهو الذي أشار إليه الرسول (ص) في أحاديثه.

قال الله تعالى في سورة آل عمران (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)

وأولوا العلم هم الذين يشهدون بوحدانية الله، وأنه قائم بالقسط..والعلم هنا مرتبة لا يبلغها المرء إلا بالطلب.

فهم من جهة أهل الحفظ والفهم، من الذين حفظوا العلم وعقلوه وفهموا معانيه، واستنبطوا وجوه الأحكام والحكم والفوائد.

وهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

وهم أيضا أهل الحفظ الذين رزقوا الحفظ والنقل والضبط، ولم يُرزقوا تفقّها في معانيه ولا استنباطا ولا استخراجا لوجوه الحكم والفوائد منه.

والحفظة الذين يقصد الإشارة إليهم هم حفظة القرآن الكريم، فإذا تمكّن الناس أن يتفاربوا في الحفظ ، فإنهم متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظم تفاوت.

أما القسم الثالث فهو أولئك الذين لا نصيب لهم منه لا حفظا ولا فهما ولا رواية ولا دراية فهم بمثابة أرض لا تنبت ولا تُمسك الماء ، وهؤلاء هم الأشقياء.

أبو زكريا

مقاربات نقدية

من أسرار السياسة واللغة

عبد السلام المسدي

كانت اللغات الرسمية المعتمدة في التنظيمات الدولية، هي الإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والإسبانية. وفي مطلع عام 1974، أضيفت إليها اللغة العربية. فأصبحت اللغات المتداولة رسميًا ست لغات. وهذا يعني أن اللغة العربية قد اتسع حضورها وانفسح إشعاعها.

إن المسألة تعنينا هنا في سياقها الثقافي الإنساني. فالتحاق العربية برتل اللغات المعتمدة رسميًا يسبغ عليها سمة العالمية. ومن ثم يعيد إليها بعض الإنصاف التاريخي بعد حيف طويل سببته حقبة الاستعمار. ولكن القراءة الحصيفة للأحداث هي التي تقرن الثقافي بالسياسي. وحقّ علينا هنا أن نساءل العرب إلى إدخال اللغة العربية، لم يكن لها أن تؤتي ثمارها - وقد طالت - إلا بفضل الزخم السياسي، الذي ارتقى بهم إلى منزلة عليا بفضل ما حققوه سنة 1973: من الناحية العسكرية أولاً. ثم من الناحية الاقتصادية على مستوى الطاقة عالميًا. وأخيرًا من حيث حسن إدارة الموقف الدولي، وبراعة توظيف كل الجوانب في مصبّ واحد. ولئن مثلت تلك الفترة لحظة رائعة تجلى فيها اتحاد الكلمة العربية، فإن الذي صنع جمالها هو التآزر الفعّال بين جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية، إذ برزتا كقوتين نافذتين في القرار العربي وفي إدارة الشأن الدولي.

أين غصن الزيتون؟

علينا أن نسلم الآن بأن الذي جاء باللغة العربية إلى المنتظم الأممي، وكل المحافل الدولية هو الانتصار السياسي، الذي يغير معادلة التوازن بين الدول، وهذا من البديهيات. ومن شك فيه أو رام دليلاً آخر، فلنذكره بأن ذلك الوزن الجديد، الذي اكتسبه العرب هو الذي أتى الإدارة الدولية، فلم ينته عام 1974 حتى استضافت الأمم المتحدة ياسر عرفات لتصغي إليه يومها لأول مرة، وذلك بتاريخ 13 نوفمبر 1974. فتحدث إلى العالم بلغة الضاد، وأسمع العالم كيف يتغنى السياسي بإيقاع اللغة الشعرية النابضة:

جئتكم وغصن الزيتون في يدي...

ليس من صراع سياسي إلا ويوراءه صراع اقتصادي، وليس من صراع اقتصادي إلا وخلفه منازعات ثقافية ولغوية.

وهناك - في العمل الدولي المشترك - نواميس ضابطة يؤسسها نص المواثيق، ويتداولها القائمون والمشرفون وصنّاع القرار، ويتماحك بها ذوو المصالح المتفاوتة، أو المتضاربة. وهناك أعراف تتخذ لنفسها بمرور الأيام سلطة تكاد تضارع سلطة المواثيق المثبتة، ولا يستنكف منها أحد، ولا يتبرّم طرف بذكرها، أو بالتفاوض حولها، كأعراف التداول على المناصب والخطط بحسب التوزع الجغرافي. وهذه سنن إذا ضاق المجال عنها لم يتردد أولو الشأن في تجاوزها أو اختراقها. فما هي - في نهاية المطاف - إلا أعراف قد تتوافر وقد لا تتطرد.

ولكن في العمل الدولي المشترك أعرافًا أخرى يتم الاصطلاح عليها والتواضع حولها في ضرب من العقد الضمني بين الأطراف الماسكين بالقرار، ولا أحد يتحدث بها باسم المواثيق، ولا أحد يتخذها مرجعًا من مراجع العمل الدولي المشترك. وكل ما فيها هو سلطة العرف خارج حدود النص. غير أن هذه الأعراف كثيرًا ما تكتسب سطوة فائقة حتى تغدو اقتناعًا جماعيًا بالرغم من منافاتها لمبدأ المماثلة المطلقة بين كل شركاء العمل الدولي المشترك.

أعراف السلطة

وتأتي مسألة اللغة في طليعة هذه الأعراف ذات السلطة العليا، والتي يتكتم عليها الأطراف فيدرجونها ضمن المسكوت عنه. فمن لم يستبصر بها عن استشعار دقيق ضلت به السبل، وقد تنزلق المسالك تحت الأقدام من حوله. وما هو متعارف عليه في هذا الباب - على سبيل التمثيل وعلى سبيل الاستدلال في الوقت نفسه - أن الذي يتولى منصب الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة (لابد) أن يكون مجيدًا للغة الإنجليزية وللغة الفرنسية في الوقت نفسه. وبالكفاءة التداولية نفسها على الأقل. إن تعذّر أن يكون بالكفاءة البلاغية نفسها. فلو أن واحدًا منا قد احتكم إلى مواثيق الإنصاف المطلق، لكان من حقه أن يفترض بأن الذي يتولى منصبًا قياديًا في أي عمل دولي مشترك، يجب ألا يشترط في حقه إلا إتقانه لإحدى اللغات الرسمية الست، حتى ولو كانت واحدة بمفردها. غير أن للأعراف سلطة تفوق سلطة المنطق الخالص، وتفوق سلطة الحكمة المجرّدة.

فإذا جئنا إلى منظمة العمل الثقافي الدولي المشترك (اليونسكو)، وجدناها تقتدي بهدي المنظمة الأم، وتزيد عليها بعض التدقيقات الخفية ضمن دائرة المحجوب والمستور والمسكوت عنه. وبديهي أن تكون السلطة الخفية للجانب اللغوي أقوى في مجال التربية والثقافة والعلوم، ما هي عليه في حقل السياسة. وهنا ينبري أقنوم اللغة كأقوى ما تكون الأقانيم في المجال الدولي. فليس واردًا أن يتولى إدارة اليونسكو مَن لا يحذق الفرنسية أولاً، والإنجليزية تاليًا. ولا يتردد الفرنسيون في التذكير بأنهم متمسكون بأن ينقن المترشحون اللغة الفرنسية لإدارة هذه المنظمة (الدولية) التي تتخذ باريس مقرًا لها. وكم بلغ لهم أن يعيدوا هذا التذكير إبان كل حملة انتخابية، سواء على لسان مسئوليهم أو على لسان رجال الإعلام، وكل قارئ لما وراء الأحداث يستشف تنامي هذا الإحساس الفرنسي، ويستشعر تزايد إصرارهم عليه منذ ملحمة (الاستثناء الثقافي) في معركة (الجات).

ليس هنا مجال الإطناب في أهمية العنصر اللغوي، من حيث النفوذ الأدبي، ومن حيث الاستثمار المادي. ولكن سرًا من الأسرار التي تفسر الترتيب الدولي في هذا المجال هو أن الفرنسيين - وقد رأيناهم، وخبرناهم، وماحكناهم بلغتهم، فهمهناهم من مواقع متعددة - لا يريدون أن يتحدلوا في بعض (الخيارات) التي يعتبرونها مصيرية بالنسبة إليهم، إلا بلغتهم، بالرغم من إتقانهم للغات الأخرى، لمّا إنهم مع ذلك غير مستعدين بأن يتحاوروا في هذه (الخيارات) عن طريق وسيط يترجم لهم أو يترجم عنهم.

الفرنسيون يخسرون

ومن تلك المفاتيح التفسيرية الخفية، أن الفرنسيين قد فقدوا زمام المبادرة في الشأن الدولي الكبير، وتأكدوا أن النظام الدولي الجديد بكل مجالاته، من عولمة اقتصادية ونسقية أنجلوسكسونية، قد جرفهم نحو زمرة المقامرين الخاسرين. وبحكم كل ذلك، لاذوا ببعض الفتات الثقافي على المائدة الكونية، وهم الآن يتمسكون في إصرار عجيب بالفرنكوفونية، كما لو أنها بديل في عصر البدائل منذ غاب الصراع الأيديولوجي المألوف. ومن هنا الباب، قد يفتح الباحث نفقًا قصيًا يجوس من خلاله إلى التوظيف الثقافي المسكوت عنه، وذلك بكشف التعالق المضمر بين تصوّر الفرنسيين لوظيفة اليونسكو، وتصوّرهم لوظائف منظمة الأقطار الناطقة كليًا أو جزئيًا بالفرنسية.

ولكن الفرنسيين يحذقون لعبة اللاطفة، ويجنحون إلى الهدف الإستراتيجي، وإن كان على حساب الكسب التكتيكي. ولذلك لا يفتئون يذكّرون بأن المترشح لمنصب الأمانة العامة، لابد - في نظرهم - أن يكون متقنًا للفني التداول - حسب عبارتهم - قاصدين بذلك الفرنسية والإنجليزية. والحقيقة أنهم يفضلون الفصيح بلسانهم على الفصيح بلسان غيرهم. ولاشك أنهم كانوا أكثر سعادة ببلاغة أحمد مختار مبو من ترحابهم بلكنة فريدريك مايور.

فأين اللغة العربية من هذا الصراع الذي هو كصراع القمم؟

مضت فترة الزخم، فأصبحنا نسمع نغمات جديدة، عند كل ضائقة مالية تمر بها منظمة الأمم المتحدة، تعلو نداءات التقشف والضغط على الإنفاق، فتوشوش أصوات هامسة بالكلفة العالية التي سببها دخول اللغة العربية، أو غامزة بأن المترجمين المهرة بين لغة الضاد، ولغتين أخريين على الأقل نادرون، وتتكفل المجموعة العربية بتغطية الفائض من النفقات.

إن الرصد الثقافي اليوم مهمة متحتمة على كل مفكر ملتزم برسالته الحضارية: من أي منهل اغترف، وفي أي جدول أنزلته أقداره المعرفية، والمثقف العربي مسئول في هذا الزمن التاريخي بأضعاف ما كانت عليه مسئولياته أيام تحرير الأوطان، وأيام تشييد المؤسسة القطرية، وأيام التهاب الحميّات المذهبية.

خطاب الثقافة

إن دخول مرحلة الحوار الثقافي بالنسبة إلينا - نحن حفدة العرب وورثة القيم - لا يبلغ سناه الأجدى، ولا تستصفى ثمراته أو تُستساغ أشاربه إلا متى ولجناه من الباب الكبير: باب الوعي بتناقضاته التي هي من تناقضات المصالح بين الأمم. وباب الوعي بالمسافة الفارقة بين خطاب الثقافة، وهي غاية في ذاتها، وخطاب الثقافة، وهي وسيلة تستدرّ بها المنافع السياسية، وتقيّد على (فواتيرها) ضريبة التقنيات وديون الاقتصاد. فإن لم يكن لكل ما أسلفناه من فائدة إلا أنه ييسّر لنا التمييز بين (حوار الثقافات) حين يتخذ خطابًا للهيمنة الثقافية عبر مسارب الاختراق، وبين مبدأ (حوار الثقافات) حين يكون بحق خطابًا للتسلّم الثقافي، فيما بين الإنسان وأخيه الإنسان. فإن لنا فيه لخيرًا كبيرًا.

إن التمسّك بحوار الثقافات، والسعي إلى إرسائه على قواعد الندية لتطمح نبيل، والذي يزيده نبلاً وشرفًا، ويجعله مثالاً يفتدى به، أن العرب يرفعون شعاره من موقع العزة الحضارية، التي تمكنهم من كل مقوّمات الهوية الثقافية المتميزة، وهل من أمة أولى من أمة العرب، بأن تعلن لواء المساواة الثقافية والموضوعية الفكرية والإيثار المعرفي؟!.

وقد أشهدوا التاريخ على فعلهم حين شيّدوا حضارة كانوا فيها على مدى القرون سادة القول، وبلغوا فيها سنام الريادة، ثم يجنحوا خلالها في يوم من الأيام إلى الإقصاء، من أي نمط كان: لا الإقصاء العرقي ولا الإقصاء المعرفي!. ويكفي أن بينهم رواّدًا تألقوا على سنام الفكر الموضوعي برؤية إنسانية جامعة. وكان فيهم من صور من الحقائق الدائمة ما يحضّنا على استذكار أقواله: إن اللغة يسقط أكثرها، ويبطل بسقوط دولة أهلها. ودخول غيرهم عليها. فإنما يفيد لغة الأمة قوة دولتها. وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم. وهذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل والضرورة).

هي حقائق دوّنها باقتضاب ابن حزم الأندلسي (384-456هـ)، وسيستأنفها ابن خلدون (732-808) باستفاضة باهرة، وبعقلانية خرج كل العرب المعاصرين: من المثقفين صنّاع الأفكار إلى السياسيين صنّاع القرار.

لغة العربية

المصدر الصناعي

مصادر الأفعال معروفة. ومثال ذلك: سارَ يسيرُ سيْراً. سمِعَ يسمعُ سَمْعاً. ارتحَلَ يرتحِلُ ارتحالاً. استغفر يستغفرُ استِغفاراً. ومصادر الأفعال الثلاثية المجردة سماعية أما المزيدة فهي قياسية كما رأينا في الأمثلة السابقة .

والمصدر لفظ يعبّر عن الحدَث من حيث هو حدث. فالسّيرُ يُعبّرُ عن الحدث الذي هو السّير. ويمكننا أن نصفه فنقول إنه سريع أو حثيث أو بطيء. وهناك مصدر يصاغ من اللفظ بزيادة ياءٍ مشددةٍ بعدها تاءُ التأنيث. وهو المصدر المسمى بالصناعي.

وقد ورد المصدر الصناعي في اللغة من قديم. ففي القرءان الكريم في الآية 27 من سورة الحديد: «ورهبانيّة ابتدعوها» كما أن لفظ «الجاهلية» ورد في آيات كثيرة. وفي الحديث الشريف: «إنك امرؤ فيك جاهلية». وفي الشعر العربي القديم: وإني على ما كان من عبدهيتي = ولوثة أعرابيتي لأريبٌ. وفي لسان العرب: العَبْدَهيّة: الجفاء والغلظ. وقد رُوي البيت السابق أيضا بلفظة العُنجَهية. ومن معانيها الجهل. بدلا من العبدهية. وهناك ألفاظ كثيرة وردت في اللسان العربي القديم. مثل: الربوبية. والعروبية. والشعوبية. والطفولية. وهلم جرا .

قبل بضعة عقود كان أهل اللغة يقتصرون في المصادر الصناعية على ما سُمع من العرب. غير أن مجمع اللغة العربية في القاهرة، منذ ما يقرب من سبعين عاما، رأى الحاجة ماسة، وخاصة عند التعريب، إلى أن يكون المصدر الصناعي قياسيا. لأن ما قيس على كلام العرب هو من كلام العرب.

قطوف من رائعة الأجنحة المتكسرة

الكآبة الخرساء

جبران خليل جبران

أنتم أيها الناس تذكرون فجر الشبيبة فرحين باسترجاع رسومه، متأسفين على انقضائه. أما أنا فأذكره مثلما يذكر الحر المعتوق جدران سجنه وثقل قيوده. أنتم تدعون تلك السنين التي تجيء بين الطفولة والشباب عهداً ذهبياً يهزأ بمتاعب الدهر وهواجسه ويطير مرفرفاً فوق رؤوس المشاعل والهموم مثلما تجتاز النحلة فوق المستنقعات الخبيثة، سائرة نحو البساتين المزهرة. أما أنا فلا أستطيع أن أدعو سني الصبا سوى عهد آلام خفية خرساء كانت تقطن قلبي وتثور كالعواصف في جوانبه، وتتكاثر نامية بنموه ولم تجد منفذاً تنصرف منه إلى عالم المعرفة حتى دخل إليه الحب وفتح أبوابه وأنار زواياه. فالحب قد عتق لساني فتكلمت ومزق أجفاني فبكيت وفتح حنجرتي فتنهدت وشكوت.

أنتم أيها الناس تذكرون الحقول والبساتين والساحات وجوانب الشوارع التي رأت ألعابكم وسمعت همس طهركم. وأنا أيضاً أذكر تلك البقية الجميلة من شمال لبنان. فما أغمضت عينيّ عن هذا المحيط إلا ورأيت تلك الأودية المملوءة سحراً وهيبة، وتلك الجبال المتعالية بالمجد والعظمة نحو العلاء. ولا صممت أذني عن ضجة هذا الاجتماع إلا وسمعت خرير تلك السواقي وحفيف تلك الغصون. ولكن هذه المحاسن التي أذكرها الآن وأشوق إليها شوق الرضيع إلى ذراعي أمه هي التي كانت تعذب روحي المسجونة في ظلمة الحداثة مثلما يتعذب البازي بين قضبان قفصه عندما يرى أسراب البزاة تسبح حرة في الخلاء الوسيع — وهي التي كانت تملأ صدري بأوجاع التأمل ومرارة التفكير، وتنسج بأصابع الحيرة والالتباس نقاباً من اليأس والقنوط حول قلبي — فلم أذهب إلى البرية إلا وعدت منها كئيباً جاهلاً أسباب الكآبة. ولا نظرت مساء إلى الغيوم المتلونة بأشعة الشمس إلا وشعرت باتقباض متلف ينمو لجهلي معاني الانقباض. ولا سمعت تغريدة الشحرور أو أغنية الغدير إلا وقفت حزيناً لجهلي موجبات الحزن.

يقولون إن الغباوة مهد الخلود والخلود مرقد الراحة — وقد يكون ذلك صحيحاً عند الذين يولدون أمواتاً ويعيشون كالأجساد الهامدة الباردة فوق التراب. ولكن إذا كانت الغباوة العمياء قاطنة في جوار العواطف المستيقظة تكون الغباوة أقصى من الهاوية وأمر من الموت. والصبي الحساس الذي يشعر كثيراً ويعرف قليلاً هو أتعس المخلوقات أمام وجه الشمس لأن نفسه تظل واقفة بين قوتين هائلتين متباينتين: قوة خفية تحلق به السحاب وتريه محاسن الكائنات من وراء ضباب الأحلام، وقوة ظاهرة تقيده بالأرض وتغمر بصيرته بالغبار وتتركه ضائعاً خائفاً في ظلمة حالكة.

للكآبة أياد حريرية الملامس، قوية الأعصاب تقبض على القلوب وتؤلمها بالوحدة. فالوحدة حليفة الكآبة كما أنها أليفة كل حركة روحية. ونفس الصبي المنتصبة أمام عوامل الوحدة وتأثيرات الكآبة شبيهة بالزنبقة البيضاء عند خروجها من الكمام ترتعش أمام النسيم. وتفتح قلبها لأشعة الفجر وتضم أوراقها بمرور خيالات المساء. فإن لم يكن للصبي من الملاهي ما يشغل فكرته، ومن الرفاق من يشاركه في الأميال، كانت الحياة أمامه كحبس ضيق لا يرى في جوانبه غير أنوال العناكب ولا يسمع من زواياه سوى دبيب الحشرات.

أما تلك الكآبة التي انبعث أيام حداثتي فلم تكن ناجمة عن حاجتي إلى الملاهي لأنها كانت متوفرة لدي. ولا عن افتقاري إلى الرفاق لأنني كنت أجدهم أينما ذهبت. بل هي من أعراض علة طبيعية في النفس كانت تحبب إليّ الوحدة والانفراد وتميت في روحي الأميال إلى الملاهي والألعاب. وتخلع عن كتفيّ أجنحة الصبا وتجعلني أمام الوجود كحوض مياه بين الجبال يعكس بهدوئه المحزن رسوم الأشباح وألوان الغيوم وخطوط الأغصان ولكنه لا يجد مراً يسير فيه جدولاً مترنماً إلى البحر.

هكذا كانت حياتي قبل أن أبلغ الثامنة عشرة. فتلك السنة هي من ماضيّ بمقام القمة من الجبل. لأنها أوقفتني متأملاً تجاه هذا العالم. وأرتني سبل البشر، ومروج أمالهم، وعقبات متاعبهم وكهوف شرائعهم وتقاليدهم.

في تلك السنة ولدت ثانية والمرء إن لم تحبل به الكآبة ويتمحض به اليأس، وتضعه المحبة في مهد الأحلام، تظل حياته كصفحة خالية بيضاء في كتاب الكيان.

في تلك السنة شاهدت ملائكة السماء تنظر إليّ من وراء أجفان امرأة جميلة. وفيها رأيت أبالسة الجحيم يضجون ويتراكضون في صدر رجل مجرم. ومن لا يشاهد الملائكة والشياطين في محاسن الحياة ومكروهاتها يظل قلبه بعيداً عن المعرفة ونفسه فارغة من العواطف.

(التقييد المحل للتعقيد في التصوف للشيخ الحداد)

وثيقة تاريخية ثرية في فكر التصوف على الطريقة الرحمانية

تقديم: إسلام ساحلي

عن «دار البصائر» للنشر والتوزيع صدر كتاب بعنوان (التقييد المحل للتعقيد في التصوف للشيخ الحداد) حققه وعلق عليه الأستاذ الدكتور عمار طالبي. والدكتور فريد زيداني. والأستاذ براهم وعلي. يقع الكتاب في 600 صفحة من القطع المتوسط. وهو يحتوي على مقدمة طويلة ووافية بقلم المحققين وصور المخطوط للكتاب الأصلي. ثم كتاب الشيخ الحداد المحقق. وينقسم إلى تمهيد ومقدمة في الاعتقاد والانتقاد و12 بابا وخاتمة وملاحق تضم فهارس الكتاب ومسرد آيات القرآن الكريم ومسرد للأحاديث الشريفة ومسرد للمصطلحات الواردة في المتن.

تتعرض مقدمة المحققين إلى نشأة الطريقة الرحمانية في الجزائر على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد بن يوسف الأزهري الزواوي إقليما القشتولي قبيلة السماعيلي عرشا. البوعلاوي قرية. والمعروف شعبيا في الجزائر باسم «سيدي امحمد بوقبرين». وفي المقدمة كذلك تعريف بالشيخ محمد بن عبد الرحمن المولود سنة 1126هـ (1715م) والمتوفى سنة 1207هـ (1794م) ورحلته إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج عام 1152هـ(1739) ثم استقراره بمصر ودراسته في جامع الأزهر وشيوخه الذين درسوه وأخذ عنهم طريقته الصوفية. ثم سفره إلى دارفور بالسودان. ثم عودته إلى الجزائر مع زوجته وخادمه بعد رحلة لطلب العلم والدعوة دامت ثلاثين سنة. استقر في بداية عودته إلى الجزائر في مدينة بجاية سنة 1183هـ (1770) ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة واستقر بالحامة وبنا زاويته التي كانت مركز نشاط تعليمي وتربوي. وقد جلبت له شهرته العلمية والتفاف الناس حوله غيرة وحسد بعض علماء الجزائر. فحرضوا عليه الداي محمد عثمان فحوكم أمام مجلس من القضاة. ورغم ظهور براءته من التهم الموجهة إليه ومساندة الداي له فقد فضل مغادرة الجزائر والعودة إلى مسقط رأسه بجرجرة بقرية آيت سماعيل حيث أسس زاوية جديدة وتوفي هناك سنة 1208 ودفن بزاويته. ولكن يقال أن أهل الجزائر الذين أحبوه وتعلموا عليه. نقلوا جثمانه ليلا خفية إلى الحامة. ولذلك سمي الشيخ محمد بن عبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية «بأبي قبرين»(بوقبرين) الأول في جرجرة والثاني في الجزائر. ثم تذكر مقدمة الكتاب تلاميذ الشيخ وعلى رأسهم علي بن عيسى الذي تتلمذ عليه الشيخ محمد أمزيان بن الحداد المعروف بالشيخ الحداد صاحب كتاب التقييد.

تواصل المقدمة التعريف بالشيخ الحداد الذي ينحدر من قبيلة آيت منصور جبراه آيت وغليس بجبال البيبان مع ذكر تأسيس الشيخ الحداد لزاوية صدوق ومشاركته الفاعلة في ثورة المقراني سنة 1288هـ (1871م).

كما تعرض المقدمة إلى الدور التاريخي والوطني الذي قامت به الزاوية الرحمانية في الجزائر. أما موضوع الدراسة أي «مخطوط التقييد المحل للتعقيد في التصوف» فهو كما تقول المقدمة: «ينفذ إلى أعماق النفس الاجتماعية لشخصية المسلم في القرن 19م والذي يظهر أسير الجهل ضعيف الروح والعقل الأمر الذي حز في نفس الشيخ الحداد ودفعه إلى تأليف هذا الكتاب لإصلاح حالة المسلمين. وتتنوع مادة المخطوط بين مواضيع عديدة فهو يتناول العادات والتقاليد والمعتقدات ومسائل فقهية وكلامية ويتناول التصور الصحيح في رأيه ويستشهد بنصوص من نفائس الكتب التي ألفها كبار المتصوفين.

وتوجد ثلاث نسخ مخطوطة لكتيب الشيخ الحداد. وقد اعتمد المحققون لهذا الكتاب على النسخة الأولى وهي ملك زاوية الشيخ سيدي محمد الطيب بوسنة وليست زاوية الشيخ سيدي الحسن الرحمانية وتم نسخها في 8رمضان 1293م الموافق لـ 28/12/1875م واختار المحققون عنوان المخطوط من الباب الرابع من النسخة أي (التقييد المحل للتعقيد في التصوف للشيخ الحداد) وعنوان الباب هو «في الجهر بالذكر».

يقول الشيخ الحداد في تمهيد المخطوط عن عمله: «حملتني غيرة الإيمان مع سبق القدر وإشارة شيخي في الطريقة الجامع بين الحقيقة والشريعة سيدي الحاج المهدي السكلاوي البراتني منشأ وبلدا -رضي الله عنه- وأدام بقاءه والنفع به للمسلمين على أن أجعل تقييدا مشتملا على أشياء استعملها على الطريق وأنكرها عليهم أهل الظاهر إلى أن يقول: «...فجاء بحمد الله تعالى تقييدا مفيدا ناصرا لأهل الأوراد وحجة بالغة على أهل النكر والغفلة والعناد وقدمت بين يديه مقدمة في الاعتقاد ورتبته على اثنتي عشر بابا وخاتمة.

الباب الأول في الترغيب في ذكر الله تعالى.
الباب الثاني في الترهيب والتحذير من تركه.
الباب الثالث في فوائده.
الباب الرابع في الجهر به.
الباب الخامس هل الذكر أفضل أم التلاوة.

الباب السادس هل الذكر أفضل أم الفكر.
الباب السابع في آداب الذكر.
الباب الثامن في ذكر بعض أحوالهم الطارئة عليهم.
الباب التاسع في المشيخة وما يتعلق بها.
الباب العاشر في التلميذ وطلب الأستاذ.
الباب الحادي عشر في من مات شيخ (شيخه) هل يجدد شيخا آخر أم لا.
الباب الثاني عشر في الفرق بين الأبرار والمقربين.
الخاتمة في مسائل شتى».

هذا الكتاب هو إنجاز ثقافي كبير من طرف نخبة من الباحثين الجامعيين في مجال الاهتمام بالتراث الثقافي الوطني بجمعه وتحقيقه وتقديمه بطرق علمية محققة وميسرة للقراء وتعريف الأجيال بشخصيات تاريخهم ذات الأثر الطيب في الفكر والجهاد.

أصول الفكر الأخلاقي بالمغرب والأندلس

صدر عن مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية لعلماء المغرب الشقيق كتاب: أصول الفكر الأخلاقي بالمغرب والأندلس» للدكتور يوسف بنلمهدي. ويندرج هذا الكتاب في إطار التأصيل المرجعي والفكري والتاريخي لمعالم الهوية المغربية. على مستوى مكوناتها العقدية والتشريعية والسلوكية. في تركيز على الفكر الأخلاقي. باعتباره مكونا رئيسا من مكونات الشخصية المغربية. وبعداً حيوياً من أبعادها.

جاء الكتاب بالأدلة التاريخية الموثقة والمحققة. التي تبرهن على أصالة الفكر الأخلاقي المغربي وفرادته. ليثبت أن التخلق المغربي ليس ملحقا من ملحقات الفكر الإسلامي. التي استُحدثت في القرن السادس الهجري. وإنما هو نبات أصيل تعود نشأته في المغرب والأندلس. إلى نشأة الإسلام ذاته. فحَمَلة العقيدة الإسلامية للمغرب والأندلس. من الدعاة الفاتحين. والفقهاء والمحدثين. وعلماء العقيدة والمتكلمين. هم حملة التخلق السني الصافي من الابتداع في العقيدة. النقي من أدران الباطنية. كما جلى المؤلف حفظه الله. حقيقة كون فقهاء الأحكام التعبدية والعملية. من أعلام مدرسة التابعين ومدرسة المالكية. هم أنفسهم فقهاء التربية الذين فصّلوا أحكام الباطن وفرّعوها. كما فعلوا ذلك مع أحكام الظاهر.

وبالموازاة مع إعطاء ما يلزم من الأهمية للسند الأخلاقي الذي عرفه علم التزكية بالمغرب والمشرق. فقد ركز الكاتب على السند التاريخي للتخلق بالمغرب والأندلس. وخصه في ثلاثة أطوار مترابطة يكمل بعضها بعضا. وهي: طور الدعاة والفاتحين. والطور الثاني: طور فقهاء التربية من السادة المالكية حملة علمي الظاهر والباطن. والطور الثالث هو طور اكتمال مناهج علم التزكية. وبداية عصر التصوف المغربي.

أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأميركية

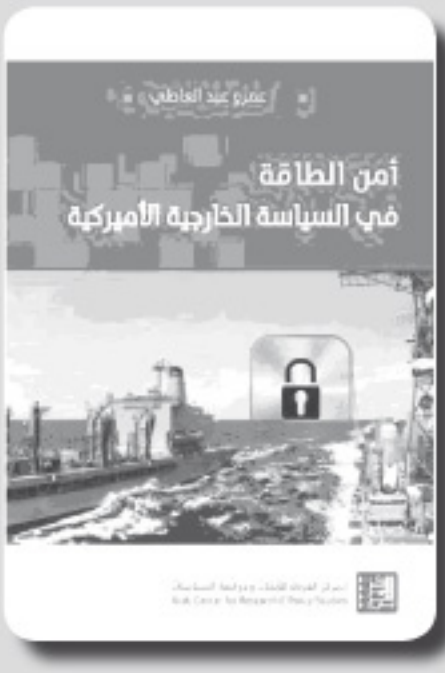

يدرس كتاب «أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأميركية» (224 صفحة. من القطع الكبير) للكاتب عمرو عبد العاطي. كيف تتأثر السياسة الخارجية الأميركية بسعي الولايات المتحدة إلى تأمين حاجاتها المتزايدة من مصادر الطاقة التقليدية بصورة كافية وآمنة. لمواكبة نموّها الاقتصادي الذي يُعدّ أحد مصادر قوّتها عالميًّا.

ويركز على حدود هذا التأثير خلال إدارتَي الرئيس الأميركي جورج بوش الابن والفترة الأولى للرئيس أوباما. متخذا منطقة بحر قزوين دراسة حالة. لتوضيح مدى تأثير أمن الطاقة في السياسة الخارجية الأميركية تجاه إحدى مناطق الإنتاج الواعدة.

ويركّز الكتاب أيضًا على تأثير أمن الطاقة الأميركي في السياسة الخارجية الأميركية بعد حوادث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001: لما لها من تأثير في أدوات السياسة الخارجية الأميركية ودوائرها خلال إدارتَي بوش. اللتين شهدتا «عسكرة» السياسة الخارجية الأميركية. وخلال الفترة الأولى من إدارة أوباما.

العقل ضد السلطة

يمثل عنوان هذا الكتاب تلخيصاً وافياً بأعمال تشومسكي وإجمالا لمسار حياته. فالمثقف الذي في طينته لا يملك إلا العقل وسيلة لخوض المعارك. والخلاف بين تشومسكي ومثقفين معاصرين عديدين يتمثل في أنّ هؤلاء كثيرا ما نبذوا سلاح العقل. بما أن منهم من بعد هذا السلاح في جوهره سلاحا قمعيا. غير أن تشومسكي لا يحمل إيماناً ساذجاً بقوة العقل. بل يرى أن العقل هو كل ما نملك. ولا يصدر تشومسكي كذلك عن إيمان ساذج بالتقدم؛ لكن الديمقراطية. والحريات الفردية. واللائكية. وخرر المستعمرات. وحقوق الأقليات. وحقوق النساء وحقوق الأجيال المقبلة(الحركة من أجل حماية البيئة). تعتبر علامات دالة على التقدم. والتقدم المقرون بإعادة النظر في الأشكال التقليدية للسلطة. وهب عملية صارت ممكنة بفعل حركة النقد العقلاني والتحرري المتحدر من الأنوار.

محافل جمعية العلماء العلمية والثقافية بولاية الشلف

أولا : زيارة المعرض الدولي للكتاب

قامت لجنة الشباب والطلبة بشعبة الشلف بتنظيم رحلة لفائدة الطلبة إلى المعرض الدولي للكتاب يوما قبل اختتامه. وقد رافق الطلبة في هذه الرحلة رئيس اللجنة عضو المكتب الولائي للجمعية الأستاذ محمد لعاطف.

ثانيا : إحياء ذكرى نوفمبر المجيدة

بمناسبة ذكرى نوفمبر الوطنية الخالدة نظمت الجمعية يوم 01 نوفمبر 2014 ندوة تاريخية ببلدية الظهرة احتضنتها ثانوية الشهيدة حليمة عزوز حضرها العديد من أطر الجمعية على المستوى المحلي. وكذا السلطات المحلية والأمنية بالبلدية. واستضافت الجمعية في هذا اليوم ابن مدينة باتنة الأستاذ عبد الله تخنوني الذي قدّم مداخلة بعنوان : الطريق إلى بيان أول نوفمبر. ثم أعقبه رئيس المكتب الولائي للجمعية الأستاذ قدور قرناش بمداخلة تحمل عنوان : البُعد الروحي لثورة أول نوفمبر. كما شهد الحفل العديد من الكلمات والمسرحيات والأناشيد والمدائح الدينية.

إضافة إلى ذلك أحيت العديد من الشعب البلدية للجمعية المناسبة التاريخية تحت شعار واحد: أمجاد نوفمبر تدعونا للحفاظ على الوطن.

ثالثا : الندوة التكوينية التنظيمية السنوية الثالثة

نظمت شعبة ولاية الشلف ندوتها السنوية الثالثة يوم 22 نوفمبر 2014 بالمركز الثقافي الإسلامي بحضور أطر الجمعية من مختلف البلديات بالإضافة إلى ضيوف وفدوا من بعض ولايات الغرب. واختارت الشعبة لهذه الندوة هذا العام شعار: " من أجل رؤية وفعالية في الإنجاز " . أطّـر الندوة كل من:

الأستاذ محمد لعاطف بمحاضرة بعنوان: قراءة في وثيقة الرؤية المنبثقة عن الجامعة الصيفية الأولى لجمعية العلماء.

الدكتور مصطفى مغزاوي بمحاضرة بعنوان: عرض تاريخي لعودة جمعية العلماء للنشاط وطنيا ومحليا.

الأستاذ محمد أوزار بمحاضرة بعنوان: عوامل الاستمرارية في العمل الجمعوي الإصلاحي الدعوي.

كما سبق لهذه المحاضرات عرض شامل لحال الشعبة قدمه رئيس الشعبة الأستاذ قدور قرناش. وقد شهدت الندوة تكريم السيد مدير التربية بعد ما تم تكريم السيد مدير الشؤون الدينية والأوقاف في ذكرى نوفمبر. وذلك نظير ما يُقدمانه للجمعية من تسهيلات في سبيل خدمة الدين والوطن.

إضافة إلى هذا فإن الفترة المسائية من الندوة شهدت تنظيم ورشات بعدد لجان الشعبة الولائية لوضع مقترحات عمل للشعبة للسنة القادمة.

رابعا : اللقاء الجهوي لشعب الغرب الجزائري لدراسة وثيقة الرؤية.

وعلى هامش الندة السنوية الثالثة لشعبة الشلف انعقد اللقاء الجهوي لشعب الغرب الجزائري لإثراء وثيقة الرؤية وتعميق النقاش حولها تحضيرا لعرضها على أعضاء المجلس الوطني للجمعية يومي 26 و27 ديسمبر 2014 للمصادقة.

خامسا : يوم دراسي بعنوان « التعليم القرآني واقع وآفاق »

احتضن مسجد الشيخ عبد الحميد بن باديس ببلدية تاوقريت بالشلف فعاليات اليوم الدراسي الموسوم بالعنوان المذكور يوم 29 نوفمبر 2014 بحضور السلطات المحلية وممثل مدير الشؤون الدينية والأوقاف والسلطات المحلية والمنتخبين في المجالس المحلية والمجلس الوطني . كما حضر طلاب المدارس القرآنية والزوايا والأئمة وأطر الجمعية وغيرهم حيث لم يسعهم المسجد على سعته.

وقد ألقيت ثلاث محاضرات في هذا اليوم. الأولى ألقاها معتمد أئمة بلدية عين امران الشيخ يوسف مقاس. والثانية فضيلة الشيخ محمد مكركب. والثالثة إبراهيم عاشر. كما شهد الاحتفال تكريم حفظة القرآن الكريم وضيوف تاوقريت من المحاضرين وغيرهم. وللإشارة فإن اللجنة الدينية للمسجد تعاونت كثيرا مع الجمعية في هذا النشاط.

محافل جمعية العلماء العلمية والثقافية بولاية الشلف

سادسا : افتتاح مدرسة قرآنية ببلدية بني حواء يوم 06 ديسمبر 2014

كان الحدث مميز ببني حواء وهو حفل افتتاح المدرسة القرآنية " عبد الحميد بن باديس " بحضور أعضاء المكتب الولائي الذي عقد اجتماعه الشهري على هامش حفل الافتتاح.

وقد حضر هذا الحفل العديد من محبي الجمعية.

وقد شهد الحفل إلقاء محاضرات لكل من:

الدكتور عمار طالبي نائب رئيس الجمعية

الأستاذ حسين بوطاوي مسؤول نادي الترقي

الشيخ محمد مبدوعة مدير مدرسة الإمام مالك للدراسات القرآنية

الأستاذ عبد الحليم توميات رئيس شعبة بلدية بولغين للجمعية

للإشارة فإن المدرسة مساحتها 130 متر مربع محاذية لشاطئ البحر مقسمة إلى أقسام.

سابعا : معاينة مقر الجمعية ببلدية الزبوجة.

توجه وفد من الشعبة الولائية للجمعية يوم: 12 - 12 - 2014 - إلى بلدية الزبوجة لمعاينة مقر جديد منحه أحد المحسنين إلى شعبة الجمعية ببلدية اللجة. حيث التقى الوفد أعيان وأئمة الزبوجة. وأعضاء الشعبة البلدية. ثم توجه الوفد إلى مسجد النهضة حيث ألقى رئيس الشعبة قدور قرناش درس الجمعة.

ثامنا : تنظيم معرض للكتاب

وبمناسبة عطلة الشتاء يتم تنظيم معرض للكتاب بقاعة المطالعة بالمركز الثقافي الإسلامي في الفترة الممتدة من 20 ديسمبر إلى 25 ديسمبر 2014 .

تاسعا : زيارة ولاية سطيف لحضور اللقاء الجهوي

كما تنقل اثنان من أعضاء المكتب الولائي للجمعية بالشلف هما: محمد لعاطف وحسين عزون الى ولاية سطيف يوم 13 ديسمبر 2014 حيث حضرا اللقاء الجهوي الثاني لإثراء وثيقة الرؤية التي ستعرض للمصادقة على المجلس الوطني في دورته العادية هذه السنة.

عاشرا : نشاطات مبرمجة

ومن الأنشطة المبرمجة: احتفالات ذكرى المولد النبوي الشريف تحت شعار: بشروا ولا تنفروا. ورحلة إلى تلمسان حيث سنوافيكم بمجرياتها وبرنامجها لاحقا إن شاء الله تعالى.

برنامج الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لسنة 1436 هـ شعبة ولاية الشلف تحت شعار: بشروا ولا تنفروا.

الشيخ المحاضر	المسجد	التاريخ	النشاط
الشيخ سعيد بن بريكة	مسجد الهداية بحي الحرية ببلدية الشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الشيخ كمال أبو سنة	مسجد حي بن حليمة بحي السلام بالشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الشيخ محمد مبدوعة	المسجد العتيق وسط مدينة الشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ عيسى شعنان	مسجد الزبير بن العوام حي الشرفة بالشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ قدور قرناش	مسجد الإمام مالك حي بن مونة بالشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ إبراهيم عشير	مسجد النور حي الحسنية بالشلف	04 جانفي 2015	محاضرة بعد صلاة المغرب
الأستاذ قمومية مراد	مسجد الرحمة بقعة القواسمية بالشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ عجوط محمد	مسجد أبو بكر الصديق أولاد محمد بالشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ مصطفى حريشان	مسجد زوار الله بحي لالة عودة بالشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ امحمدي بوزينة الطيب	مسجد علي بن أبي طالب ببلدية وادي سلي	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ قدور قرناش	مسجد عمر بن عبد العزيز بحي الغاز بالشلف	10 جانفي 2015	درس الجمعة
الدكتور محمد بلعالية	مسجد الكوثر بحي لالة عودة بالشلف	02 جانفي 2015	درس الجمعة
الأستاذ كمال أبو سنة	مسجد النور بحي بتقار بالشلف	02 جانفي 2015	محاضرة بعد صلاة المغرب
الشيخ سعيد بن بريكة	مسجد الحق بحي الزبوج بالشلف	02 جانفي 2015	محاضرة بعد صلاة المغرب
الأستاذ عيسى شعنان	مسجد عثمان بن عفان بحي لالة عودة بالشلف	02 جانفي 2015	محاضرة بعد صلاة المغرب
الشيخ محمد مبدوعة	مسجد معاذ بن جبل بحي الإخوة عباد الشلف	02 جانفي 2015	محاضرة بعد صلاة المغرب

جمعية العلماء في مواجهة مخطّطات الاستدمار الفرنسي

أ. محمد بومشرة

في مواجهة الاستعمار الفرنسي الغاجر، الذي حاول منذ أوّل يوم من الاحتلال المشؤوم، محو الشّخصية الجزائرية المتمثلة في الدّين واللّغة والتّاريخ، يكتب الإبراهيمي في صحيفة (البصائر) سنة 1947، يهاجمه بهذه الصّواعق النّارية دونما خوف أو تردّد: «جاء الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت، والاستعمار مثل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصّحيح، وهو في الجزائر قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية، وعبث بحرمة المعابد، وحارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرّذائل، والتّعليم بإفشاء الأمّية، والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير.» محمّد الصّالح الصّديق شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التّحرير الجزائرية، الصّفحة: 109.

من مخطّطات الاستدمار الفرنسي

ومن حيل فرنسا الخبيثة قبل احتلال الجزائر أنها تعهّدت برعاية المصالح، وصيانة الأملاك، وحماية الرّعيّة، وعدم المساس بالعقيدة الإسلامية، لكنّ الأقنعة سقطت حيث كان تحت القناع وجوه الذّئاب الضّالة، بل جُنّ جنونهم وعاثوا في الأرض فسادا، ممّا جاء في تقرير وزير الحرب (كلبرمونتونير) قبل الاحتلال، يوم: 14 أكتوبر 1827م: «يمكننا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمثّل الجزائريّين أن نجعلهم مسيحيّين لنحقّق بذلك نصرا يبدو أنّ العناية الإلهية تعدّه لنا.»

وفي تقرير للّجنة الاستطلاعية ليوم: 07 جويلية 1833 ما يلي: «ضممنا إلى أملاك الدّولة سائر العقّارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا على أملاك طبقة من السّكّان كنّا تعهّدنا برعايتها وحمايتها... لقد انتهكنا حرمات المعاهد الدّينية، ونبشنا القبور، وافتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين.»

وسجّل التّاريخ عن أوباش مرّوا من هنا سنة 1830 م أنّ عشية الاحتلال كان في قسنطينة 86 مدرسة، وفي العاصمة 80، وفي تلمسان 50، أمّا عدد المساجد في العاصمة فكان 112 مسجدا، فصاروا بعد مدّة قصيرة جدّا 04 مساجد، وفي سنة 1862م بدأ عدد المساجد والمدارس والكتاتيب والزّوايا والجوامع يتضاءل بأضعاف مضاعفة، وهنا يصرّح (دي توكفيل): «لقد وضعنا أيدينا في كلّ مكان على هذه الأملاك (الأوقاف)، ثمّ وجّهناها غير الوجهة التي كانت تستعمل فيها في الماضي، لقد عطّلنا المؤسّسات الخيرية، وهكذا تركنا المدارس تموت، والنّدوات العلمية تندثر.» د. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية الجزء:2، الصّفحة: 62.63.

هؤلاء اللّقطاء أبناء اللّقطاء وبدون استثناء أعداء الإنسانية جاؤوا بثياب أنيقة للرّهبان والضّبّاط بفكر التّمدّن والتّحضّر.. ساروا نحو جرائم بشعة باعترافاتهم الموثّقة ضدّ شعب أعزل في مذكّراتهم مؤخّرا، احتار فيها جيلهم جيل القرن الحالي يقول (الكونت ديريسون): «اقترفنا جرائم يندى لوحشيتها الجلمود.» وهو الصّخر الصّلب.

وعليه سُجّل بالجزائر سنة 1830م حوالي (03) ثلاثة ملايين نسمة، وفي سنة 1852م صار العدد نحو (02,5) مليونين ونصف نسمة.

وبعد قرن من الزّمن أدرك أنّه بلغ ما جاء من أجله بل أكثر من ذلك، فمضى على كلّ المقاومات الشّخصية الجزائرية، سلبوا وقتلوا وشرّدوا وفرّقوا، وظنّوا أنّ الشّعب الجزائري فقدَ أبطاله وزعماءه، وحاد عن أصله بل مات.

الذّكرى المائويـــــة

ولم تتوقّف فرنسا عن تبجّحها، وإعلان سبب احتلال الجزائر في تصريحاتهم الخطابية أو التّقارير الإدارية أمام العام والخاص، ظانّين بعد هذه العقود من الزّمن التي مرّت على الشّعب الجزائري أنّ أمره قد انتهى، وجنح إلى الاستسلام.

ففي سنة 1930م قامت الإدارة الفرنسية بالاحتفال العظيم بالذّكرى المائوية للاحتلال، حفل ضخم من حيث البشر من مدنيّين وعسكريّين ورجال الا دين، أكلوا وشربوا وسكروا وعربدوا، واختلط حابلهم بنابلهم، ثمّ أحيوا ليالي حتّى الصّباح، وسط أنوار كأنّها من قلب القمر، كانت عندهم ليلة العمر، وكانت عندنا ليلة نحس مستمر، متبجّحين بأنّهم قد بسطوا سلطانهم على الجزائر بقوّة الحديد والنّار، وأنّهم افتكّوها من الحضارة الإسلامية، وأرجعوها إلى الحضارة الرّومانية التي ينتمون إليها في وقت عظم فيه الضّغط على الشّخصية الجزائرية حتّى غدت مهدّدة بالتّلاشي.

يقول الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله تعالى: «إنّ الاحتفال المائوي قد قدّم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل.»

وممّا أثار غضب الشّعب الجزائري الأبي تصريحات بعض رؤوس الشّر والفتنة من القيادات العسكرية، قال أحدهم: «إنّنا لا نحتفل الآن بالذّكرى المائوية لاحتلالنا الجزائر منذ قرن، وإنّما نحتفل اليوم بوأد الإسلام في أرض الجزائر.» وقال آخر: «بعد مدّة لن نجدوا في الجزائر من يعبد إلاّ المسيح...»

ظهـــور جمعيـــــة العلماء

وفي الخامس ماي 1931 ظهرت جمعية العلماء للوجود علنا لتقول لفرنسا جيشا وحكومة وشعبا على لسان الشّيخ عبد الحميد بن باديس: «قولوا لفرنسا إذا قدّر الله لها أن احتفلت بمرور مائة عام على احتلال الجزائر فلن تُعاود.»

إنّ الدّارس لمسار جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها يدرك أنّها ظهرت في وقتها المحدّد لها في علم الغيب، وكانت تسميتها بجمعية العلماء اسما على مسمّى فهي جمعت وجُمع علماء من طراز عال ومن معدن غال سمع بهم القاصي والدّاني درست الاستدمار دراسة علمية كما يدرس الكتاب وعملية في الميدان، يقول الشّيخ البشير الإبراهيمي: «لو تأخّر ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين بعشرين سنة، ما وجدنا من يفهمنا.»

يؤكّد الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي أهمّية هذه اللّقاءات وأنّها كانت الأرضية التي انبنت عليها جمعية العلماء، وحدّدت على ضوئها ماهيتها وطبيعتها، فيقول: «وأشهد الله على أنّ تلك اللّيالي من سنة 1913 ميلادية، هي التي وُضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، التي لم تبرز إلى الوجود إلاّ في سنة 1931م.» جهاد ابن باديس ضدّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913.1940) لعبد الرّشيد زرّوقة مطبعة دار الشّهاب.

يقول الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي عن حكمة القدر الإلهي في جمعه بالشّيخ العلاّمة عبد الحميد بن باديس: «كان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر، ومن مخبّآت الغيوب لها، أن يرد عليّ بعد استقراري بالمدينة المنوّرة سنة وبضعة أشهر، أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك، الشّيخ عبد الحميد بن باديس أعلم علماء الشّمال الإفريقي ولا أغالي، وباني النّهضات العلمية والأدبية، والاجتماعية والسّياسية للجزائر.» مجلّة الثّقافة: السّنة 15، العدد: 87، الصفحة: 18.

لم يكن احتلال فرنسا الجزائر سنة 1830م من أجل ثرواتها الغزيرة فحسب، وإنّما لتطبيق مخطّطات إجرامية طويلة المدى بشتّى الوسائل والطّرق غير الشّرعية واللاّ قانونية، بل فتّنوا للإجرام بعد الاحتلال باسم الدّيمقراطية، وشعارهم الثّلاثي في ظاهره الرّحمة ومن قبله العذاب الأليم: أخوّة، ومساواة، وحرّيّة، للقضاء على الحرّيّة التي يدفع ضريبتها الغالية شعب الجزائر، وعلى هويته المتمثّلة في دينه ولغته ووطنه وتاريخه المجيد.

وصدق من قال إنّ جمعية العلماء المسلمين هي خير جمعية أخرجت للنّاس، فربّت أمثال الحاج محمّد لبلق من مدينة الحنايا التي تبعد عن مدينة تلمسان بخمسة عشر كيلومترا شمالا، الذي كانت له اليد الطّولى في بناء مدارس جمعية العلماء، حتّى أنّ الشّيخ البشير كان يدعو قائلا: «اللّهمّ اجعل في كلّ قرية لبلقا، وقال أيضا: لو أنّ لي عشرة لبالق لحرّرت الجزائر.»

وغيره كثير كالحاج جيلالي سليماني وجلّول فندوز والمرأة التّلمسانية التي قدّمت ذهبها وحليّها للشّيخ البشير الإبراهيمي لمّا سمعن أنّ يهوديا سيرهن مدرسة الجمعية إذا لم تُسدّد الدّين في أقرب وقت، فكان تدخّل المرأة التّلمسانية لتنقذ الموقف.

من مخطّطات جمعية العلماء لمواجهة مخطّطات الاستدمار الفرنسي

وخطّطت جمعية العلماء بالنّهوض بهذا الشّعب الأبي إلى مواجهة الاحتلال بسلاحين النين أوّلهما سلاح العلم وثانيها سلاح الجهاد، كما خطّت جمعية العلماء برنامجا من المحاور التّالية لتواجه مخطّطات الاحتلال الفرنسي:

-1 المحور الدّيني: تقديم الإسلام الصّحيح للشّعب الجزائري الذي أعيته بعض فرق الضّلال بالأباطيل والشّعوذة، والقضاء على البدع والخرافات بالدّليل والبرهان، وكذلك الجبرية الجامدة، وقام الإمام عبد الحميد بن باديس بتفسير القرآن الكريم في مدّة 25 عاما، وهو من أجود التّفاسير وأثراها وأكثرها ملاءمة للعصر، حيث كلّ من يقرأ هذا التّفسير يشعر بطرافة الموضوع ومتعة الأسلوب وجمال اللّغة وذوق فنّي رفيع ومعلومات تاريخية وعلمية قيّمة، بالإضافة إلى المعرفة الدّينية والأخلاقية التي تربّي المجتمع وتربط اللّحمة بين أفراده وترسّخ فيه قيم الحرية ونبالة الضّمير الإنساني، وإحياء السّنّة المطهّرة الشّريفة في إلقاء دروس وخطب ومحاضرات عن سيرة خير البرية محمّد صلّى الله عليه وسلّم، لاتّباعها على مستوى القطر الجزائري، والحضّ عليها بالنّواجذ، وأنّ ديننا الحنيف ينبذ العنف والإرهاب، ويجنح للسّلم والسّلام، ويرفع لواء الجهاد ضدّ كلّ محتل معتد، ولأنّ ديننا الحنيف يدعو إلى العمل والجدّ، ويمقت الكسل والتّطفّل على النّاس باسم الدين.

-2 المحور الاجتماعي: أمّا في هذا المحور فقد حاول ابن باديس أن يقدّم حلولا مناسبة لمجتمعه مراعيا فيه الإسلام وروح الحضارة الحديثة، هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فلا تقوم قائمة أيّ أمّة تعيش في الحضيض إلاّ إذا اهتمّت بالنّصف الثّاني المهمل في مجتمعها، لأنّ المرأة التي تهزّ المهد بيمينها تهزّ العالم بيسارها، وقد اهتمّت جمعية العلماء بالمرأة اهتماما بالغا حتّى أنّه سُجّلت سنة 1952م نحو 13000 بنت بمدارسها الحرّة الخاصّة بتعليم المرأة.

-3 المحور السّياسي: كان الإمام عبد الحميد بن باديس رجلا سياسيا في خطبه ومراسلاته حيث قدّم مطالب الشّعب سياسيا إلى الجهات المعنية في عصره، منها تقديم فتوى تحرّم أخذ الجنسية الفرنسية، كما سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين قُدما على الاستقلال الشّامل للجزائر، أرضا وفكرا، لأنّه لا يُمكن أن نتحرّر أبدان تحمل عقول عبيد، يقول الشّيخ البشير الإبراهيمي: «محال أن يتحرّر جسدٌ يحمل عقلا عبدا.»

يقول الشّيخ إبراهيم الكتّاني في مقال بعنوان «واجب الأمّة نحو تاريخها وأبطالها»: «..وفي ربيع سنة 1936 كنتُ ضيفا على الشّيخ البشير رحمه الله بمنزله في تلمسان، وكنّا نقضي الأوقات الطّويلة في الأحاديث المختلفة، وكان يطرب كثيرا لأخبار ثورة التّحرير الرّيفية التي قادها البطل عبد الكريم الخطّابي رحمه الله، وعندما ذكرتُ له مرّة ما قام به في هذه الثّورة الجنود الرّيفيّون الذين سبق لهم العمل في الجيش الاسباني قال لي رحمه الله: اوكذلك نحن في الجزائر نعلّق أملا كبيرا على شبابنا الذين يؤدّون الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي عندما يحين الوقت لحمل السّلاح في وجه المستعمر المغتصب.»

كتبت مجلّة (الإيكودوباري Echo de paris) شهادة نشرتها جريدة البصائر في عددها الصّادر بتاريخ 20 محرّم 1356 هجرية، الموافق لـ: 02 أبريل 1937، بعنوان: «ماذا يُقال عن جمعية العلماء»، جاء فيها:

«إنّ الحركة التي يقوم بها العلماء المسلمون في الجزائر أكثر خطرا من جميع الحركات التي قامت حتّى الآن فيها، لأنّ العلماء المسلمين يرمون من وراء حركتهم هذه إلى هدفين كبيرين: الأوّل سياسي، والثّاني ديني، فالعلماء المسلمون المثقّفون هم العالمون بأمور الدّين الإسلامي وفلسفته، والواقفون على أسرار معتقداته، فهم لا يسعون إلى إدماج الجزائر بفرنسا، بل يفتّشون في القرآن نفسه عن مبادئ استقلالهم السّياسي.» -حقائق وأباطيل للشّيخ عبد الرّحمن شيبان، ثالثة للنّشر، الطّبعة الثّانية-

-4 المحور الثّقافي: وحتّى تُحقّق جمعية العلماء أهدافها كانت تعمل بفضل الله عزّ وجلّ بوسائل يعجز أيّ حزب حاليا عن استعمالها، فالإمام عبد الحميد بن باديس طلب من والده أن يسلّمه مبلغا لشراء مطبعة للاعتماد على النّفس لطبع جرائد ومجلاّت شهريا، منها المنتقد والشّهاب والبصائر... وكلّما أوقفت جريدة ظهرت أخرى لمواجهة مشروع مضاد خطير حملته فرنسا، وإلزامية التّحدّث باللّغة العربية أو دفع غرامة خمسة سنتيمات، وإنشاء النّوادي والمسارح والمدارس.. من أجل بعث الرّوح الإسلامية والوطنية في أبناء وبنات الجزائر، وإبراز الانتماء الجزائري للعروبة والإسلام.

وإن أنس فلا أنسى القصيدة العصماء: «شعب الجزائر مسلم.» وهي رسالة جمع فيها الدّين والسّياسة والتّاريخ مخاطبا بها فرنسا وأذناب فرنسا وأتباع فرنسا، وأناشيد أخرى وطنية:

«اشهدي يا سماء» للإمام عبد الحميد بن باديس.

«من جبالنا» لمحمّد العيد آل خليفة ومحمّد الهادي السّنيقرة.

«يا أرض الجزائر يا أمّنا» لحمود بو زوزو.

«هذا الشّمال» محمّد الصّالح رمضان.

«يحيا الوطن» الربيع بوشامة.

-5 المحور الرّياضي: في شهر جويلية 1944 انعقد مؤتمر كشفي وطني بتلمسان، حضره 450 رئيسا وعميدا، وكان لجمعية العلماء الدّور الأكبر في إنجاح المخيّم الكشفي بقيادة العلاّمة البشير الإبراهيمي، وتكوين الفرق المسرحية الهادفة والرّياضية، فالشّيخ ابن باديس حضر حين تأسيس وتسمية فريق قسنطينة لكرة القدم بمولودية قسنطينة: Mouloudia Club Constatine- وهو الذي اقترح تسميتها بالمولودية نسبة إلى المولد النّبوي الشّريف، فوافق الجميع نُزُولا عند رغبة العلاّمة ابن باديس، فلمّا تُرجمت إلى الفرنسية صارت (MCC)، فتشاءم فضيلته من هذا الاسم لأنّه قريب من نوع الطّيور (المُسيسبّي) المفسدة للخضر والفواكه، فبدّلها سماحته بـ (MOC).

الخاتمة

يُعدُّ الشّيخ العلاّمة عبد الحميد بن باديس رائد النّهضة الجزائرية، وأحد المجدّدين في القرن الماضي بدون منازع.

ولا أبالغ إذا أضفت ثورة التّربية والتّعليم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين: 1931-1962، كانت انطلاقتها من قوله تعالى: «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم.» بزعامة العلماء العاملين الجزائريّين على رأسهم الشّيخان عبد الحميد بن باديس ومحمّد البشير الإبراهيمي اللّذان التقيا بالمدينة المنوّرة سنة 1913م، وكان لقاؤهما مدّة ثلاثة أشهر متتالية حيث لم يغمض لهما جفن وهما عاكفان على المعرفة الجيّدة لهذا الاستدمار اللّعين ليدرساه دراسة معمّقة، والبحث عن كيفية إخراج الشّعب الجزائري من هذا الوحل، ومن نير الاحتلال، ومن هذا اللّيل المظلم الذي طال أمده.

وصدقت فراسة الفارس العلاّمة عبد الحميد بن باديس، المؤمن بربّه عزّ وجلّ حين خطب بصوت مرتفع مدوّ قائلا: «إنّ هذه الأمّة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت.»

المراجع:

- حقائق وأباطيل للشّيخ عبد الرّحمن شيبان، ثالثة للنّشر، الطّبعة الثّانية.
- جهاد ابن باديس ضدّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913.1940) لعبد الرّشيد زرّوقة مطبعة دار الشّهاب.
- الحركة الوطنية الجزائرية د. أبو القاسم سعد الله، الجزء:2، الصّفحة: 62.63.
- شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التّحرير الجزائرية محمّد الصّالح الصّدّيق، دار الأمّة.
- الإمام عبد الحميد بن باديس الزّعيم الرّوحي لحرب التّحرير الجزائرية، دار المعارف بمصر.
- حياة دار الحديث العامرة لتلمسان، 2010.1937 للأستاذ محمّد بومشرة، مطبعة مزوار الوادي.
- مقالات عن دور جمعية العلماء المسلمين ورسالتها، للأستاذ محمّد بومشرة نشرت في جريدة البصائر.
- ابن باديس الرّمز، في ذكراه الواحدة والسّبعين، إعداد د. عبد الكريم بو الصّفصاف، جامعة قسنطينة 2011.
- مجلّة الثّقافة: السّنة 15، العدد: 87، الصفحة: 18.-
- أناشيد الوطن، إعداد وتقديم الأستاذ الأمين بشيشي، طبع المؤسّسة الوطنية للاتّصال والنّشر والإشهار، وحدة الطّباعة بالرويبة الجزائر.

البصائر

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا.

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الاثنين 29 صفر 06 ربيع الأول 1436 هـ / 22 - 28 ديسمبر 2014 العدد: 735 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / info.bassair@gmail.com / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

بالمختصر المفيد

أ. كمال أبو سنة

التطرف العلماني والعواطف الإسلامية..!

يخرج علينا بعض العلمانيين التغريبيين- الذين هم من أبناء جلدتنا. ويتكلمون بغير ألسنتنا-. بين الحين والآخر. في صحافتهم الفرانكفونية أو في بعض القنوات المقردة خارج سرب قيمنا ومواريثنا الحضارية الأصيلة أو من وراء البحار عبر وسائل الإعلام الغربية بخرجات تستفز في الجزائريين المخلصين شعورهم الوطني الإسلامي. فتغلب في كثير من الأحيان العواطف الجارفة في بعض المحسوبين على التيار الإسلامي. والعواطف عواصف إن لم تضبط بقيود العقل. فيصبحون من حيث لا يدرون وكالة إشهار غير مدفوعة الأجر لكل ناعق مغمور يسلّ لسانه السليط لنقد «المقدسات» فيتحول في ليلة وضحها إلى شخصية مشهورة يبحث الناس عن بضاعتها الرديئة بعد ما كانت كاسدة في سوق الفكر والنشر..وصدق من قال قديما:

ولو كل كلب عوى ألقمته حجرا
لأصبح الصخرُ مثقالاً بدينارِ

ولهذا لن أناقش «خزعبلات» العلمانيين المتكررة التي رموا بها الأبصار والأسماع. خاصة المغمورين اللاهثين وراء الشهرة. وكان «المقدس» موضوع رميهم. وما رموا إذ رموا ولكن الشيطان رمى. ولكنني سأتحدث عن ماهية هؤلاء العلمانيين المتطرفين عندنا..!

هل العلمانيون المتنطعون في الجزائر حقّا هم «علمانيون» بما يحمله هذا المصطلح التعريفي من معنى كما يزعمون هم... أم هم مجرد شرذمة قليلة من العرابيد يضيق صدرها بالتوجهات الإسلامية والتكاليف الربانية التي فرضها خالقنا وخالقهم على عباده الذين أسلموا قولا وعملا. فتحاول- هذه الشرذمة القليلة - تبرير انحرافها الفكري والنفسي بلبس مسوح العلمانية.؟!

مشكلة العلمانيين المتطرفين في الجزائر أنهم من أكثر خلق الله مزايدة في ادعائهم ربوبية الحرية والديمقراطية. وكثيرا ما «يُصدعون» رؤوسنا بمقولة إمامهم «فولتير»: «إنني لا أوافق على أي كلمة تقولها لكنني سأدافع حتى آخر قطرة من دمي عن حقك في أن تقولها».

بيد أنهم في الواقع يقولون ما لا يفعلون. وفي واد التعسف والتسلط وفرض «الوصاية الأبائية» على كل الشعب بهيمون. ويحملون وصف «الديمقراطية» إلا أنهم بكل اختيار شعبي حر لا يكون في صالحهم ولا يتماشى مع أفكارهم وتوجهاتهم يضيقون ويرفضون..!

وميزة أخرى تُضاف إليهم ويُعرفون بها من دون الناس هي جهلهم المركب الواسع بالإسلام. وشريعته السمحة. وأفكاره الراقية التي ستبقى صالحة لكل زمان ومكان... والقليل الذي يعرفونه عن هذا الدين العظيم. وتاريخه المجيد. إنما استوردوه من جماعة المستشرقين. وأكثرهم باع ضميره العلمي للشيطان. وسيطر عليه حقده الدفين على الإسلام ومشروعه الحضاري. وعلى أتباعه المقتنعين به. واشتغل «عميلا للاستعمار» كما أوضح ذلك المفكر المسيحي الراحل «إدوارد سعيد» في كتابه الرائع « الاستشراق»...

وهناك صفة يشترك فيها العلمانيون المتطرفون جميعا. وهي محاولتهم الدؤوبة لتعريف «الإسلام» وتصويره من خلال التصرفات الخاطئة لبعض المحسوبين عليه. في حين يديرون ظهورهم عن عمد ومكر وخداع للحقائق الواضحة الموجودة في مصادره الموثقة خلافا للمنهج العلمي بدافع عاطفتهم المخاصمة لكل ما هو «سماوي». ولينهم عملوا بنصيحة «مكسيم رودنسون» كما نقل عنه العلماني الإيراني «فريدون هويدا» في كتابه المتهافت «الإسلام المعطل» حين قال ناصحا: «على المرء ألا ينسى عقلانيته في خزانة الثياب عندما يخرج للحديث عن الإسلام»!.

خطايا العلمانية المتطرفة وأهلها أصحاب «الهلوكوست الفكري والسياسي» في الجزائر تعيق هذا البلد عن التقدم والرقي والتطور والتحضر في حضن المحبة والأخوة و «المصالحة» و«الديمقراطية الحقيقية» و«الثوابت» التي ضحى من أجلها الأجداد والآباء. إذ جعلت مستقبل أجيال متلاحقة من الجزائريين سوداوي اللون. ومرّ المذاق كالعلقم... وهذه هي «الحقيقة» المرة التي يخاف كثير من أولي العلم والألباب الجهر بها. وصدق قديسهم «جيروم» عندما قال:

« لو كان في الحق ما يصدم مشاعر الناس. فخير للمشاعر أن تصدم من أن نخفي الحق عن أعين الناس».!

وفد من أبناء الجزائر من كلية العلوم الإسلامية بباريس في زيارة للجمعية

زار وفد من كلية العلوم الإسلامية بباريس على رأسه الأستاذ نور الدين بلحوت والذي ضم مجموعة من الطالبات المولودات بأوروبا حيث كان في استقبالهم بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض أعضاء المكتب الوطني والمجلس الاستشاري واستغل الدكتور قسوم فرصة هذه الزيارة ليعطي ملخصا هاما عن تاريخ جمعية العلماء ودورها الإصلاحي في الجزائر وخارجها. ويدخل في نقاش ودي مع الطالبات لتوضيح كثير من القضايا المتعلقة بالتاريخ والفكر والدين وغيرها.

وتهدف الزيارة التي جمعت بين السياحة والتعلم تعريف أبناء الجزائر المولودين بأوروبا بتاريخ الجزائر وثقافتها وتراثها وجغرافيتها وخصوصياتها الدينية والإثنغرافية وعاداتها وتقاليدها من اجل ربطهم بوطنهم الأم...

كلمة حق

أ.د. عمار طالبي

خطر هجرة العقول العلمية!

يتحدث الناس عن الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا. من البطالين واليائسين. والمظلومين المقهورين طلبا للنجاة المحتملة. التي كثيرا ما تخطفهم. ويأكلهم البحر. منتحرين مضطرين.

ولكن الناس غفلوا عن نوع آخر من الهجرة اليائسة من الحياة الكريمة. وهي هجرة العقول التي كونتها هذه الدول التي تسمى نامية. وما هي بنامية. ولكنها بتصرفاتها تطرد خيرة أبنائها ولا توفر لهم الضروري من الحياة الذي يحفظ كرامتهم وينتج لهم الفرصة لتنمية أوطانهم. فتتحدث الإحصائيات عن أكثر من مليون مهاجر. 50 بالمائة منهم من الأطباء و23 بالمائة من المهندسين. و60 بالمائة منهم من العلماء من مصر. لا يجد الباحث بيئة علمية يستطيع أن يؤدي أبحاثه دون مضايقات إدارية ومالية. ولذلك فهذه البلدان طاردة للباحثين الذين خسرت في تكوينهم أموالها فيما قبل الدراسات العليا على الأقل. فلا مكتبات جيدة. ولا مشاركة في المؤتمرات الدولية فعالة بالإضافة إلى أعباء التدريس. فالاستثمار في العالم لا يجد اهتماما في السياسات العلمية والثقافية ولذلك لا يجد قاعدة متينة في البحث العلمي. ومن ثم نجد 50 بالمائة من الطلبة المبتعثين لا يعودون إلى أوطانهم. فهل يتحدث الغرب عن هجرة هؤلاء العقول أم أنهم صامتون. ويرغبون في أن تزداد استثمارها سواء في كندا أو أمريكا أو أوروبا وبعض الدول تخصص5 في المائة من نتاجها القومي مثل دولة الصهاينة المجاورة للعرب للبحث العلمي. ونجد إيران وهي جارة للعرب تهتم بالاستثمار في العلم أشد اهتمام. والعرب يتحدثون عن الخوف من امتلاك إيران للطاقة النووية. بدل أن يهتموا بالبحث العلمي واستثمار أموالهم في ذلك.

إلا فطر فإنها بدأت تهتم بهذا الميدان في خطوات أولى. ولذلك كانت بيئة العرب تولد الإرهاب. وتهيئ له أسبابها تدري أو لا تدري. كما تهيئ أسباب الهجرة. هجرة العقول. وهجرة اليائسين والمضطهدين.

يبدو أن أموال العرب يختارون أن يستثمرها الآخرون. في نفس الوقت يضيع هؤلاء الآخرون حقوقهم ولا يحترمونهم في المجال السياسي الدولي ويؤيدون عدوهم بصراحة واضحة لا تخفى ويصرون على ذلك.

أن الأوان أن تتجه السياسات العلمية إلى بناء إستراتيجية علمية في البحث والاختراع. فإن أموالهم هذه لا تدوم إن لم يستثمروها اليوم قبل الغد.

لا تهتم النظم العربية بمصالحها الحقيقية. وتأتي هذه الحروب العبثية. فتدمر هذه الأموال. وتدفع بعض هذه النظم فاتورة الحرب الباهظة عبثا.

وتهيئ الدول الأخرى أسباب هذه الحروب لتقسم الأوطان. وتزرع فيها ألغام الشقاق والطائفية. أو تنهب الثروات. وتدير الصراع لمصالحها. والعرب عن هذا غافلون أو متغافلون.

إن علماء العراق الذين كانوا قاعدة علمية متميزة اختفوا. فمنهم من قتل ومنهم من هاجر. ولا يعرف مصيره. فهذه مأساة ألبمة دفع العراق فيها ثمنا ثقيلا. ولم يحصل سوى على تدمير علمائه وباحثيه ذوي العقول والعلم ولا يستطيع أن يعوضهم في مدة خمسين سنة هذا إذا عاد إلى العناية باستثمار العلم باهتمام. ليست المشكلة في الإمكانات والثروات. وإنما المشكلة كما قال مالك بن نبي رحمه الله في حسن التصرف فيها. وإدارتها بمنهج علمي واضح. فإذا غاب المنهج تبددت تلك الإمكانات وهدرت وما يكون لها من نفع ولا فائدة.

إن الطريق للنهوض والتنمية واقتصاد المعرفة هو العلم والتقنية. وشبابنا إذا هيئت له الظروف. والسياسة العلمية الحقيقية فإن عقوله لا تقل عن عقول الآخرين. لكن إذا كان الاتجاه السياسي لا يعنى بالعلم بقدر ما يعنى بشراء السلاح الذي لا يستعمل إلا في الحفاظ على نظام الحكم والدفاع عنه حقا أو باطلا. إن هذا من عوامل التخلف واضطراب الفكر السياسي. والاستراتيجي. في هذه الأمة التي ما تزال تتجه عنايتها إلى الخلاف. وضيق الدولة القومية. عن أن ترى مصالح الأمة في مجملها. وترعى ثروة الأمة المادية والبشرية.

ولكن هل نجد من يفكر في هذا الأمر بما يستحقه من عناية؟ لله في خلقه شؤون!